الجامعة

﴿ الجزء الرابع ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — نوفمبر (تشرين ثاني) سنة ١٩٠١ — رجب ١٣١٩ ﴾

الجناب الخديوي في السودان

ابتسامة العباس وتعبيسه · حالة السودان الحاضرة وحاجاته · لمحة من تاريخ حوادثه الماضية · بشير خير وسعادة لتلك البلاد

واذا رحلتَ فشيعتك سلامة كيف اتجهت وديمة مدرارُ

اول مرة تشرفنا بها بمشاهدة الجناب الخديوي المعظم كانت في معرض الازهار في حديقة الازبكية في العاصمة منذ اربع سنوات تقريباً · وقد خرج سموه يومئذٍ من ذلك المعرض منشرح الصدر والسرور بادٍ في وجهه الصبوح والكلام يتدفق من فمه لجليس معه في مركبته · وكان سموه يتكلم ويبتسم ويسلم على الجمع المزدحم حول الطريق في آن واحد

هذه صورة الامير في اوقات انشراحه حينما يكون عائداً من معارض الزراعة والفنون الجميلة حيث يشاهد آثار الثروة والعمل في بلاده · واما اذا كان سموه سائراً في مركبته الى سراي عابدين لرئاسة مجلس النظار وكان من مواضيع المجلس في تلك الجلسة النظر في بعض المسائل الخصوصية التي تشغل الراي العام في مصر وتقلقه فان وجه الامير يكون حينئذٍ تجللاً بالمهابة والسكون ومنظره شبيه بمنظر اسد يفكر في امر عظيم

فاية صورة من هاتين الصورتين يتخذ سمو الاميرغداً في سياحته في اقطار السودان لا ريب عندنا انه سيتخذ الصورة الاولى · فان سكان السودان الذين اكل منهم

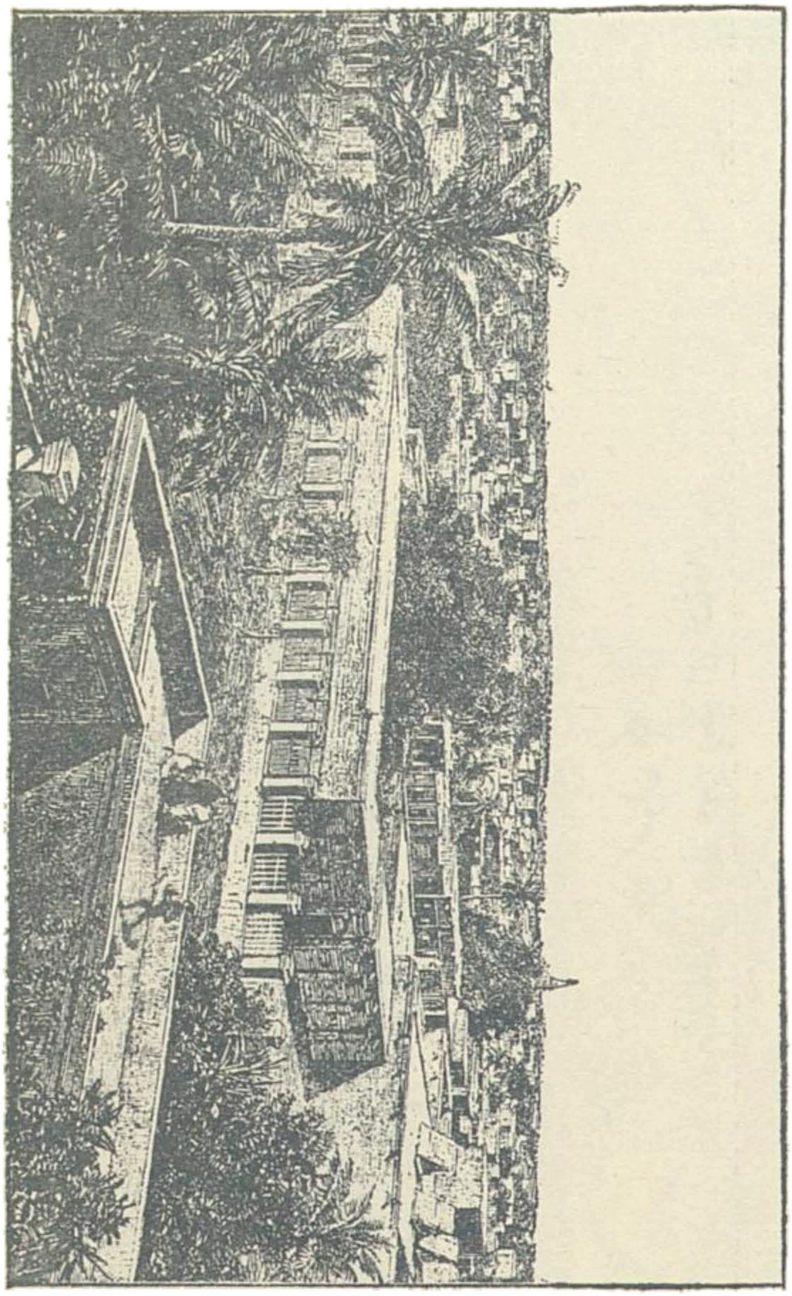
السيف والنار في دولة التعايشي دولة الخراب والدمار جديرون بان يروا في بلادهم بعد تلك الاهوال والمصائب الطوال نور وجه الامير مشرقاً بابتسامة الرجاء ۰ كالشمس بعد اسوداد الجو تبرز من وراء الغيوم السوداء ۰ وتنشر على الناس ما بها من بهاء وسناء

وقد جاءت هذه الزيارة التي كان ينتظرها السودانيون منذ زمن بعيد في حينها ۰ فان بلاد السودان اخذت تنفض عنها غبار الحالة الماضية ۰ فالامن ضارب فيها اطنابه من اقصائها الى اقصائها وحكومتها ترعى السكان بعين لا تنام ۰ وما زلنا نذكر مقالة بهذا الشأن نشرتها رصيفتنا جريدة المؤيد الغراء منذ نحو سنة لمراسل لها في السودان يلقب نفسه « الرحالة بن حام » فان هذا المراسل وصف من ضروب العدل في السودان ما هو جدير بالذكر ۰ فاذا قام مثلاً خلاف بين احد السكان واحد الاجانب ولو كان من جنس المحتلين نال الوطني كل حقه وهو عزيز كريم لان السودان موضوع خارج دائرة الامتيازات الاجنبية لكونه تحت الاحكام العسكرية ۰ واذا جاء الجراد واتلف الزراعة كما حدث في العام الماضي في خمسة الاف فدان في مركز طوكر في السودان رفعت الحكومة الضرائب عن السكان ۰ وقد نقص موسم الشعير وموسم القمح في مديرية دنقله في عام ١٨٩٩ لانخفاض النيل هناك انخفاضاً لم يسبق له مثيل فلم تاخذ الحكومة الضرائب الا عن الاطيان التي زُرعت واما الارض التي لم تُزرع فلم تُؤخذ عنها ضريبة ما ۰ وبالجملة فان الحكومة في السودان بمثابة ام تربي طفلاً وترعاه في كل حركاته وسكناته

***

﴿ حالة السودان اليوم وحاجاته ﴾ ولكن لا خلاف في ان الطفل لا يصير رجلاً في يوم واحد ولا في عام واحد ۰ اذ لا بدّ لذلك من الصبر والتدريج في النمو ۰ وهذا بيان حالة السودان الآن

قُسمت بلاد السودان في هذين العامين الى ست مديريات ومقاطعات ادارية يرئس ادارة كل واحدة منها ضابط انكليزي وعاصمتها مدينة الخرطوم مقام الحاكم العام ۰ وقد قال جناب السر ونجت باشا الحاكم العام في تقريره عن السودان بهذا الشان في العام الماضي انه لا يصحّ الاعتماد على الضباط الانكليز في ادارة اقاليم السودان لان وزارة الحربية تستدعيهم بعد خدمتهم مدة من الزمن فيذهب الاختبار الذي اكتسبوه سدى ۰ ولذلك يجب ان يُختار للادارة الشبان الملكيون الذين يقصدون السودان للاقامة فيه وربما جُعلوا بمرور الوقت اي بعد اندمال جرح السودان من الوطنيين انفسهم



﴿ مدينة الخرطوم ﴾

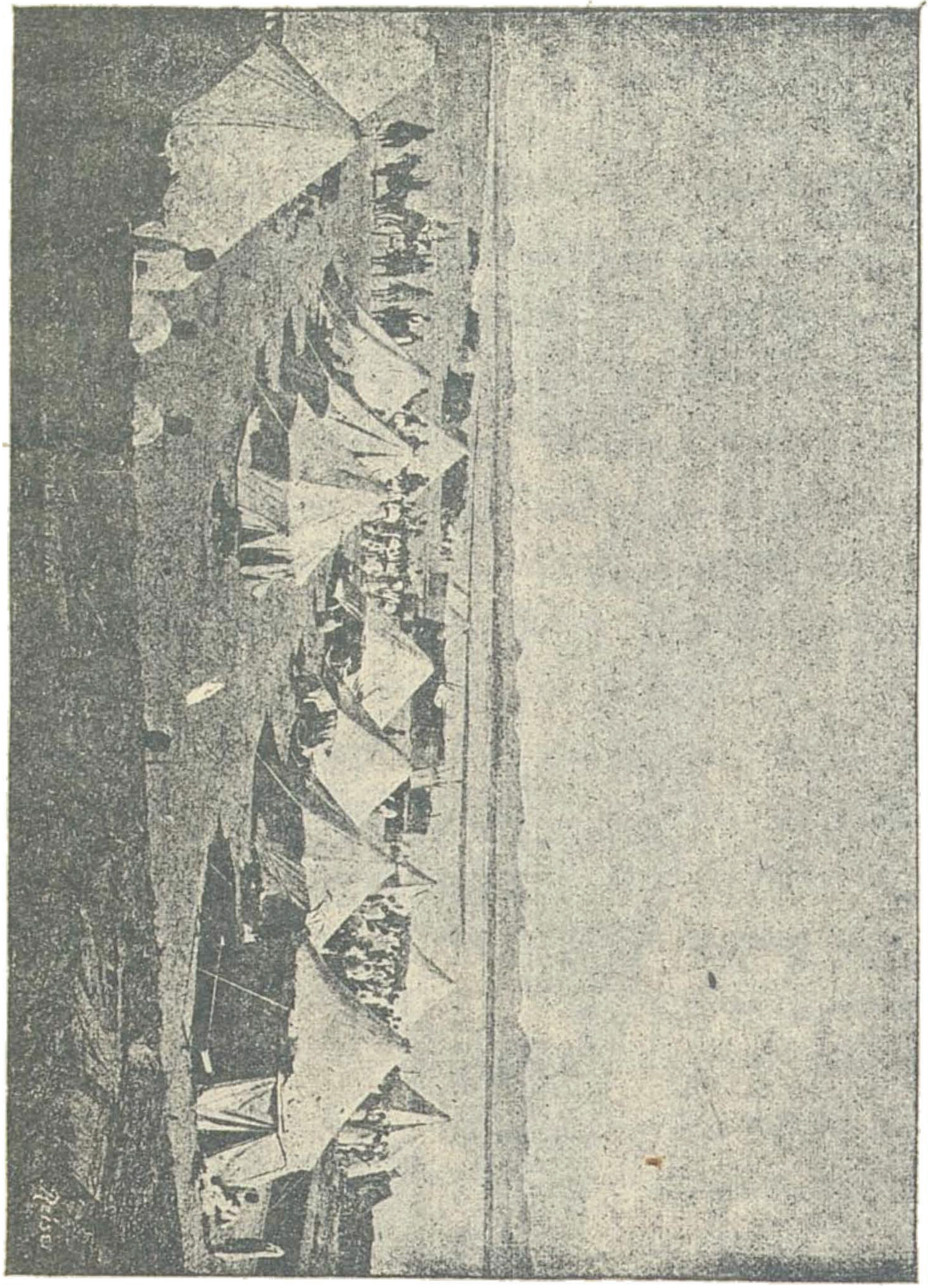
قبل سقوطها في ايدي الدراويش وكان عدد سكانها ٥٠ الف نفس

ومساحة بلاد السودان وحدها ٧٠٠ الف ميل مربع · وقد خطب سعادة السردار والحاكم العام في غلاسكو منذ مدة فقال ان الثورة التي حدثت فيها اكلت ٤٥ في المائة من سكانها وغيره يرى ان هذه الثورة اكلت اربعة اخماس السكان · والى الآن لم تُعرف حقيقة عددهم لتعذر الاحصاء في تلك البلاد البدوية · وقد اخذت الحكومة بفتح تلك البلاد للتجارة بالتدريج وفُتحت الطريق بينها و بين اوغندا بما ازيل من السدود في اعالي النيل وانشأت في الاقاليم محاكم اهلية وشرعية وجوامع و بعض مدارس ابتدائية · ولا يخفى ان جمهورًا من اكابر الامة الانكليزية قد تبرعوا بمبلغ طائل من المال يقارب المائة الف جنيه لانشاء كلية جامعة في الخرطوم تذكارًا لمقتل غوردون باشا فيها · وسيتم



﴿ اصوان ﴾
محطة الجيش الاول حين زحفه الى السودان

بناء هذه الكلية في العام القادم كما قال السردار في خطبته في غلاسكو . وقد اخذت الحكومة تجد في بناء الاماكن العمومية كمباني المديريات ومكاتب البوليس ومساكن للموظفين والمستخدمين وانفقت على ذلك في العام الماضي ٧٠ الف جنيه . وقد جددت بناء



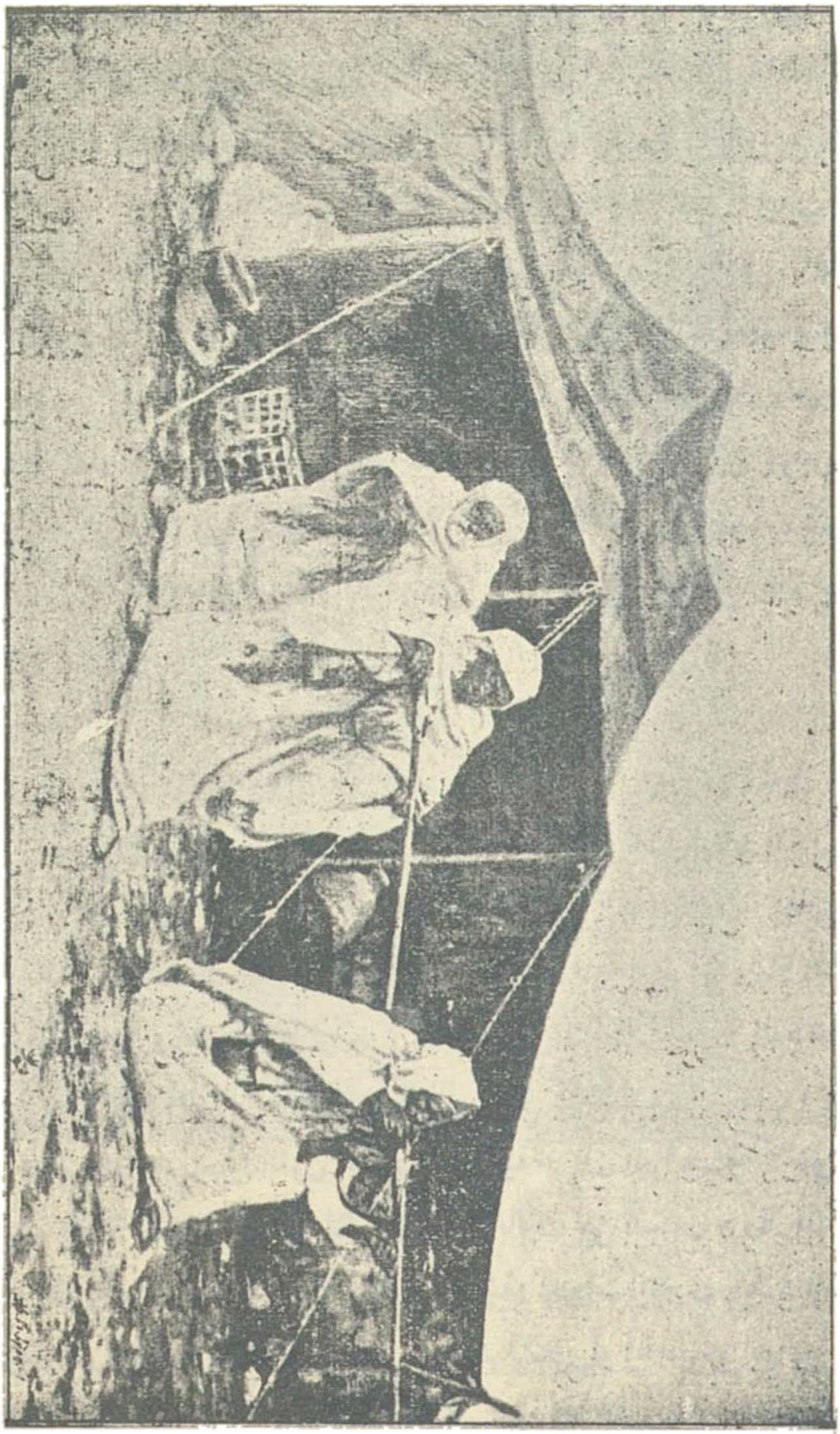
﴿ معسكر مصري ﴾
في جهات السودان ابان الحملة

الخرطوم المدينة التاريخية المشهورة فبرزت من انقاض الخراب الماضي بشكل هندسي جديد في مبانيها وطرقها وساحاتها كأنها في تلك القفار عروس خرجت من الارض بعد طول الفتنة والاضطراب

فمن ذلك يظهر أن احوال السودان آخذة في التحسن وانها كما قال سعادة الحاكم العام في خطبته التي اشرنا اليها «كريض ينقه من مرضه شيئاً فشيئاً» وقد القى سعادته هذه الخطبة ليحرك همم الناس في اوربا الى قصد بلاد السودان الاتجار فيها وزيادة نهضتها الاقتصادية · على ان في سبيل التجارة الآن في اقطار السودان عقبات كثيرة لا دخل للحكومة فيها · فمن ذلك صعوبة النقل في تلك البلاد المترامية الاطراف ولذلك تبحث حكومة السودان دائماً في وجوب مد السكك الحديدية فيها · وهي تتمنى اولاً مد خط بين الابيض والدويم على النيل الابيض لنقل الصمغ وتسهيل المعاملات · ومد خط آخر في جهات الجزيرة تجاه الدويم الى ود مدني على النيل الازرق · ومد خط آخر لوصل هذا النيل بالقضارف · هذا فيما يختص بداخلية البلاد · على انها تنظر ايضاً في مد خط من داخلية السودان الى كسلا وسواكن ليكون للسودان ثغر مستقلٌ على البحر الاحمر يغنيه عن ميناء الاسكندرية لقرب المسافة · ولكن الاسكندرية لا بدّ ان تستاء اشد استياء اذا بُنيت تلك الميناء

وللتجارة عقبات اخرى منها فقر الاهالي لان الزراعة السودانية لم تنتعش بعد · وسبب ذلك تعذر الري وقلة الايدي العاملة · وهذا ما جعل الحكومة المصرية والسودانية تفكران في انشاء خزان عظيم من الماء في البحيرات العليا فوق اعالي النيل · فانه متى انشىء هذا الخزان سهل ري اراضي السودان واراضي مصر معاً لان ذلك الخزان العظيم قادر على ضبط ما يكفيها كلها من الماء · ولكنّ هذا المشروع لا يزال في حيز القوة ولا ريب انه اذا برز الى حيز الفعل كان فيه غنى مصر والسودان معاً · لانه من الثابت الذي لا يحتاج الى بيان انه متى اثرى السودان ونما كان في ثروته ونموه ثروة مصر ونموها لكونه مستعمرة لها ولابنائها · ومع ذلك فما لا ريب فيه انه متى تم بناء خزاني اسيوط واصوان صار السودان قادراً على اخذ كل ما يريده من ماء النيل لاطيانه دون ان يوقع ذلك ضرراً بزراع مصر على الاطلاق

والفلاحون في السودان يستعملون الآن السواقي لري اطيانهم وكثيرون منهم في مديريتي بربر ودنقله يتخذون السواقي من حديد وثمن كل ساقية من ٢٠ الى ٢٥ جنيهاً · وقد زُرع القطن في السودان فنما وكذلك قصب السكر · والحكومة ترغب في ان يهاجر الفلاحون والزراع الى اقطار السودان وهي تعطيهم الارض وتعفيهم من الرسوم وتمهد كل سبيل في وجوههم · فلو كان زراع مصر وابناء الاغنياء فيها ممن تعودوا المهاجرة والاغتراب



﴿ الدراويش ﴾ يدافعون عن انفسهم وعن خيامهم

لساروا افواجا افواجاً الى تلك البلاد المطلقـة الهواء الرحبة الارجاء لاستدرار خيرات الارض والمعيشة بجد ونشاط وشرف تحت قبة السماء

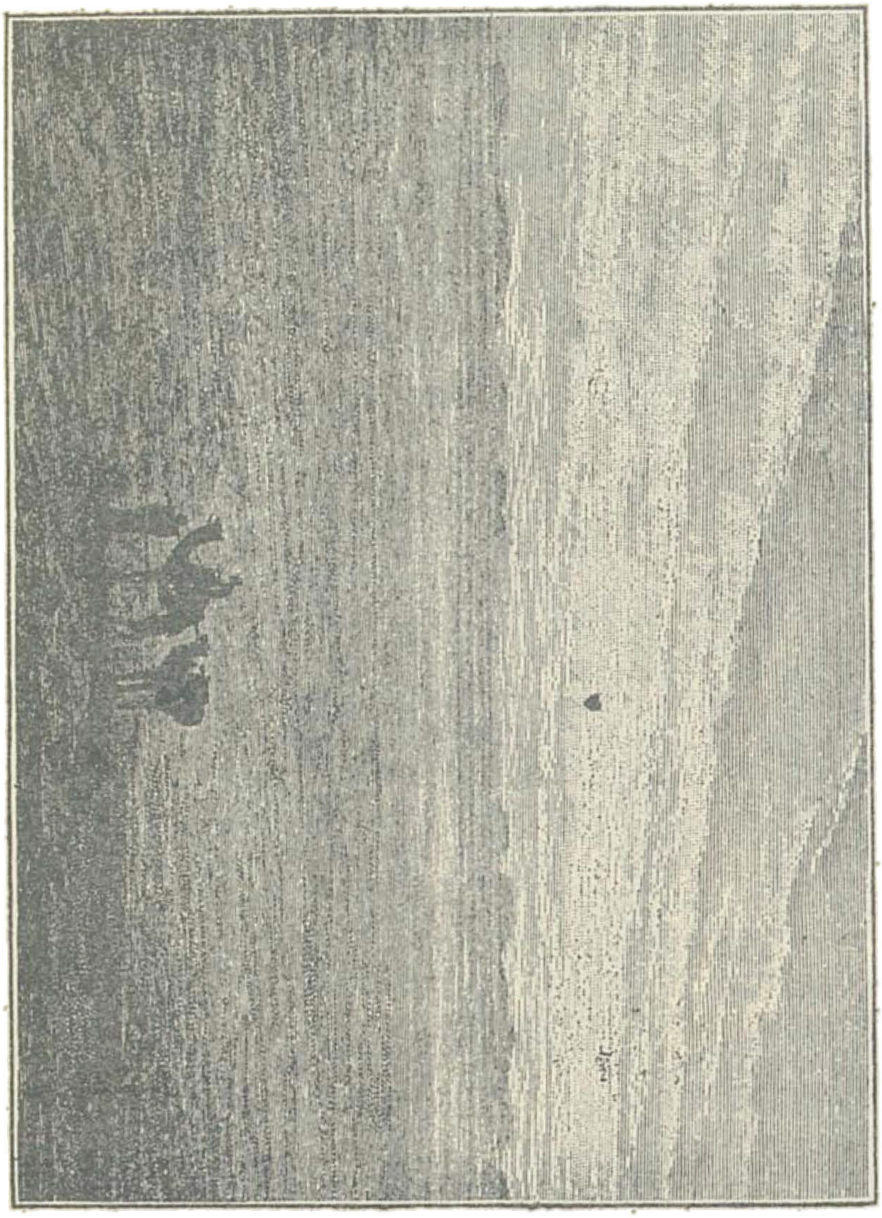
اما حاصلات السودان الآن فهي من الصمغ الكثير في حراج كردفان والريش والعاج وسن الفيل والحبوب . وطريقة التجارة هناك ان يسير التجار في تلك الاقطار ومعهم اشياء

من الانسجة والزجاج الملون والحرير والالاعيب والبضائع المختلفة لمقايضة القبائل بها على ما يكون عندها من الريش والعاج والصمغ وما اشبه · وقد تولت الحكومة بنفسها التجارة على هذا الوجه في بعض الجهات قياماً بحاجات الاهالي لان التجار لا يخاطرون بانفسهم واموالهم في بلاد مجهولة عندهم · ومما يضع العقبات في طريق التجارة ايضاً قلة الفحم والحطب هناك لان الدراويش افنوا الاشجار حتى الدويم على النيل الابيض والكاملين على النيل الازرق. وهذا مما حمل الحكومة على سن نظام جديد لقطع الحطب والعناية بالغابات ·وقد استقدمت لهذا الغرض المستر موريال من الهند فزار غابات كردفان ومديريات النيل الازرق والنيل الابيض · وقد احسنت حكومة السودان جداً باهتمامها بهذه المسألة لان هواء البلاد تابع لاشجارها ونباتاتها كما لا يخفى · وغير بعيد اذا انتشرت الاشجار والمغروسات في جميع اقطار السودان ان يتلطف هواؤها وتخف حرارتها فيه كما حدث ذلك غير مرة في بلاد اخرى

***

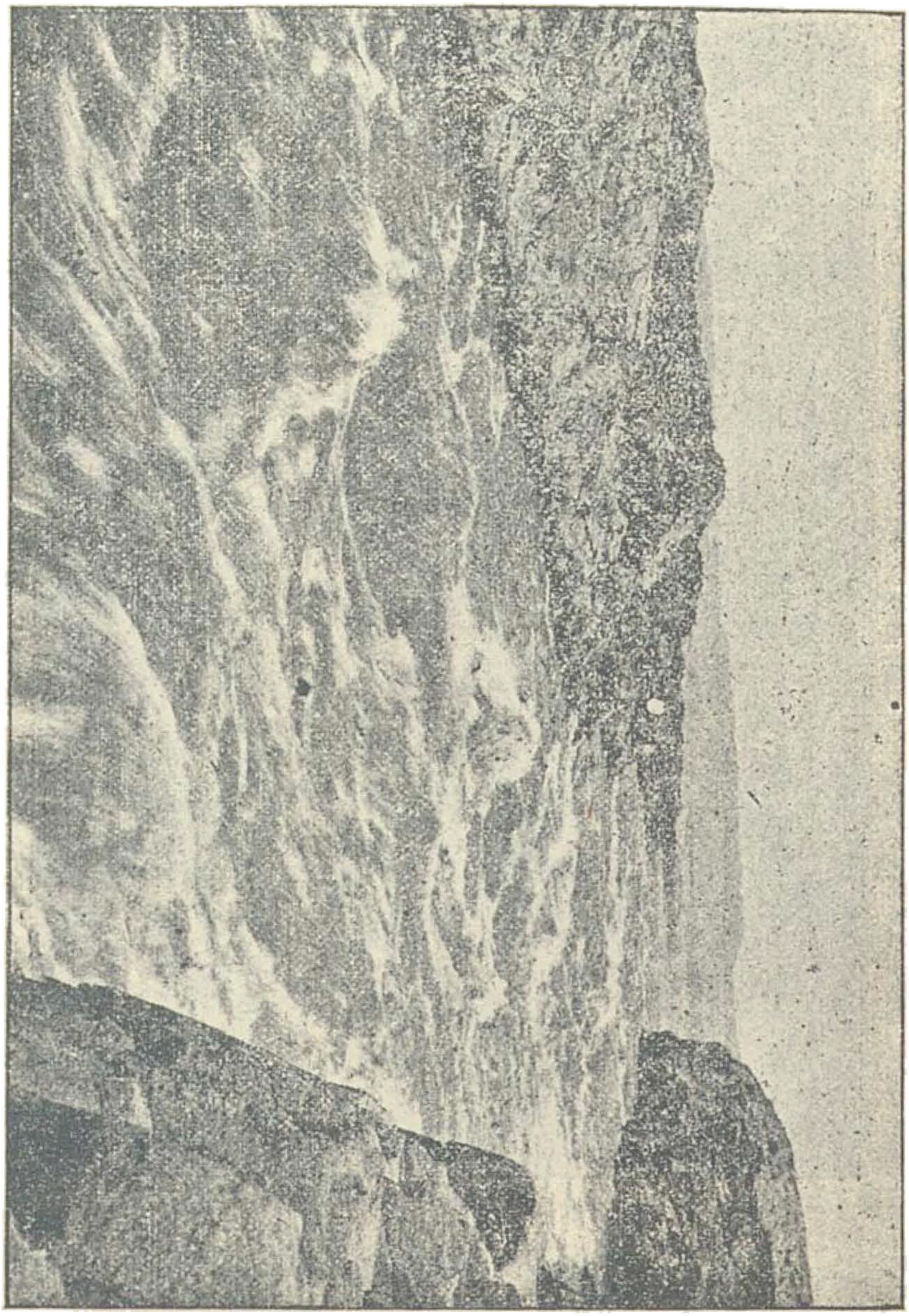
﴿ لمحة من تاريخ حوادث السودان ﴾ واذا كان الجناب الخديوي المعظم يذكر وهو صاعد الى السودان هذه الحالة الحسنة التي صارت اليها تلك البلاد فلا ريب في انه يذكر ايضاً تاريخ حوادثها الماضية التي ساد فيها الاضطراب وعمت الفتن · فان الفكر يعود الى تاريخها القديم فيرى الفراعنة الاقدمين قد وصلوا في فتوحاتهم الى اعماق السودان واخذوا منها جنوداً باسلة ارتعدت منها فرائص مملكة فارس ومملكة اشور · ولذلك يصح ان يقال بان غوردون باشا اخطأ خطاء عظيماً لما قال انه اكتشف في السودان اكتشافاً سيكون له قدر عظيم وهو يعني بهذا القول الجنود السودانية ·· فان الفراعنة كشفوا بسالة هؤلاء الجنود منذ تاريخ مصر القديم اي قبل غوردون بالوف من السنين · ولما جاء انجال محمد علي باشا الابطال فتحوا تلك البلاد حتى حدود الحبشة والبحيرات الكبرى و بلاد الصومال وقد بلغت مساحة الارض التي كانت تابعة لمصر في عهد المغفور له الخديوي اسماعيل باشا مليوناً و٩٧٠ الف كيلو متر يسكنها عشرة ملايين نفس و٨٠٠ الف نفس · وقد تم هذا الفتح الكبير على يد صموئيل باكر وغوردون بين عام ١٨٧١ وعام ١٨٧٦

ولكن لما حدثت الحركة العرابية في مصر كان لها رجع صدى في السودان وعلى الخصوص بعد مذبحة الاسكندرية · فقام محمد احمد الذي تلقب المهدي يدعو السودانيين الى اصلاح الاسلام وانقاذ البلاد · وكان هذا الرجل مشهوراً بالتقوى والدهاء والعدل وقد



﴿ الصحراء في السودان ﴾

ولد في دنقله في عام ١٨٤٣ فتبعه السودانيون وصدقوه · فنادى محمد احمد في عام ١٨٨١ بالجهاد في سبيل الله فبعثت اليه وزارة رؤوف باشا بسبعة الاف جندي لاخضاعه فهاجمها ٥٠ الفاً من دراويشه وافنوها عن آخرها · فاصبحت مصر يومئذٍ بين نارين نار الحركة السودانية ونار الحركة العرابية فجهز الانكليز عشرة الآف جندي بقيادة هيكس باشا وعهدوا اليها اعادة الامن الى السودان · فسافرت الحملة بحرًا الى سواكن ومنها دخلت في السودان · ولكن لم تمضِ على سفرها ستة اشهر حتى ورد نبأ عظيم بان الدراويش قتلوا هيكس باشا وافنوا حملته عن آخرها في احد مضائق كردفان · فكانت هذه الحادثة ضربة شديدة



﴿ شلالات النيل ﴾

لنفوذ مصر وانكلترا معاً · فبادرت انكلترا الى ارسال الجنود الانكليزية من الهند ومن مصر لاخماد تلك الثورة

ولكن الدراويش كانوا قد انتشروا في السودان واستفحل امرهم فيه حتى وصلوا الى الخرطوم عاصمة البلاد السودانية وحصروها فبعثت اليهم مصر غوردون باشا لانقاذ حامية الخرطوم وسكانها واقناعهم بترك العدوان · فدخل غوردون باشا الخرطوم وحده واوربا



﴿ سلاطين باشا ﴾

في لباس الدراويش وعليه سلاحهم

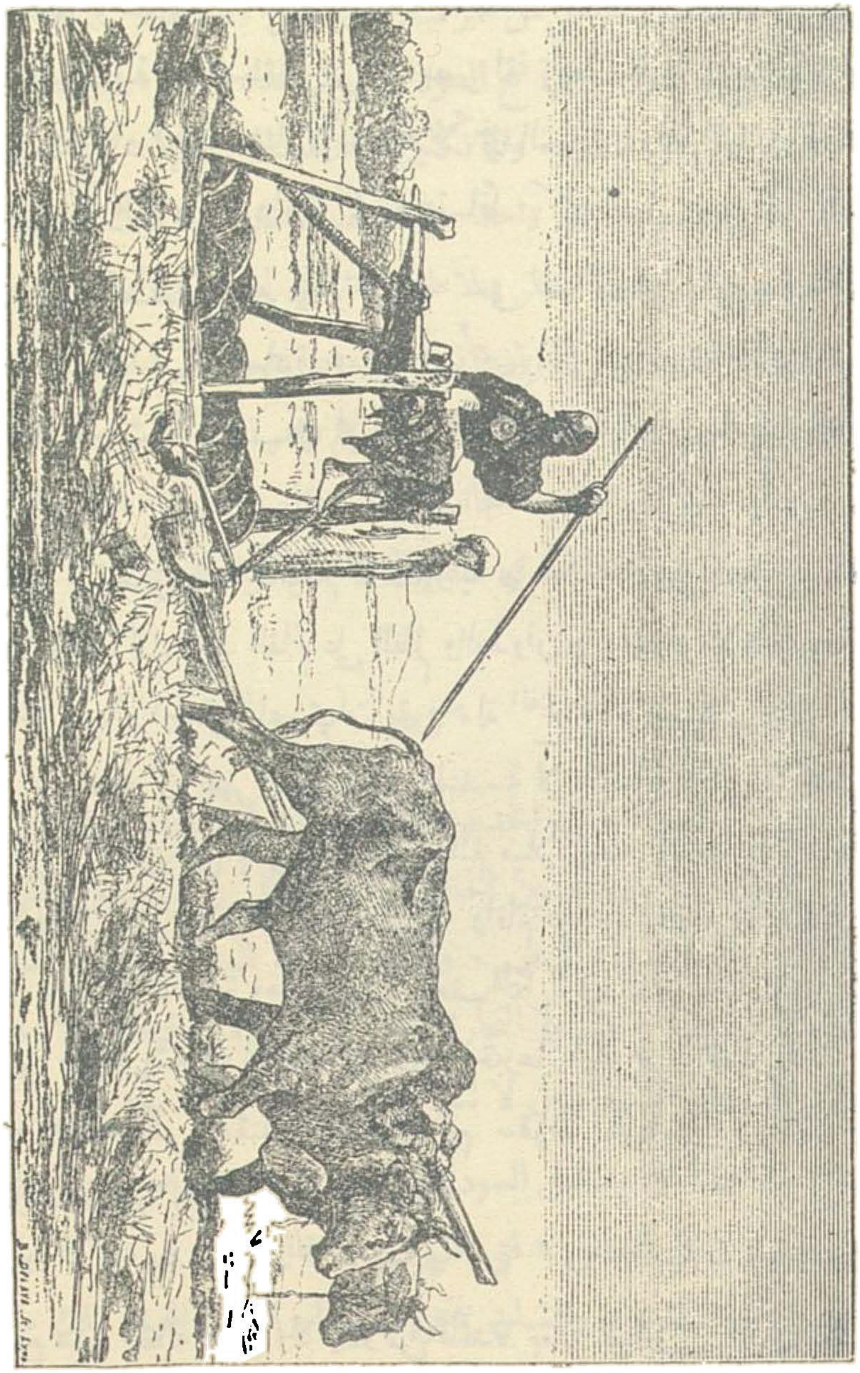
مدهوشة من صنعه. ذلك انه حسب الدراويش كعصابات الثائرين الصينيين الذين تسلط على عقولهم في خدمته في الجيش الصيني واستطاع اخضاعهم . وبعد مدة فتح الدراويش الخرطوم وقتلوا غوردون باشا وهو واقف على سلم منزله وحملوا رأسه الى المهدي لحزن عليه



﴿ سوداني يصلي في الصحراء ﴾

وتمنى لو انه لم يُقتل لانه كان يُجله لدماثة اخلاقه وحسن صفاته . وكان غوردون باشا قد ابى الخروج من الخرطوم وحده للنجاة بنفسه دون السكان والجنود الذين كانوا محصورين فيها . وهي شهامة كافية لتخليد اسمه

وكانت الحكومة المصرية قد انفذت حملة قوية بقيادة الجنرال ولسلي لانقاذ غوردون من الخرطوم بعد استفحال الامر فيها . ولكن الحملة لم تدنُ من تلك المدينة الا بعد استيلاء



﴿ الفلاحة في السودان ﴾

الدراويش عليها . فعادت الحملة ادراجها لما لاقته في طريقها من المصاعب الهائلة في محاربة الدراويش الافوياء ومقاومة العناصر الطبيعية نفسها . ومنذ هذا الحين اخذت مَصر تخلي السودان للدراويش على امل ان تعود اليه متى استتب الامن في بلادها . فاخلت جميع البلاد السودانية الا سواكن حيث اقامت حامية مؤلفة من ثلاثمائة رجل بقيادة الكولونل كتشنر (كتشنر باشا) وقد جعلت مصر الحدود بينها و بين السودان وادي حلفا

فانفتح بذلك يومئذ لبلاد السودان باب جديد · فانه لو قام فيها حينئذٍ زعيم قادر لدامت الدولة السودانية اما مستقلةً عن مصر او تابعة لها كما يتبع امراء الهند الحكومة الانكليزية · ومما زاد الحالة اختلالاً واعتلالاً في السودان وفاة المهدي وخلافة عبد الله التعايشي الذي ملأ البلاد السودانية ظلماً واعتسافاً · كانه جهل بيتي ابي تمام

مجد رعى تلعات الدهر وهو فتى حتى غدا الدهرُ يمشي مشية الهرمِ
بناه بأس وعدلٌ صادق ومتى تُبنَ العلى من سوى هذين تنهدمِ

فما أصدق البيت الاول في المهدي محمد احمد وما اصدق البيت الثاني بخليفته عبد الله التعايشي

وبناء عليه لم تنطلق يد الحكومة الانكليزية والحكومة المصرية من المشاكل حتى اخذتا تفكران بهدم ذلك المجد القائم على الظلم والعدوان واسترداد بلاد السودان · فعهدتا الى كتشنر باشا سردار الجيش المصري ان يقود حملة الفتح فاقام السردار يجهز الحملة ويدرس خطتها واخذ على نفسه ان يقهر الدراويش بالهندسة لا بالبسالة فكان لا يخطو خطوة الا وهو على ثقة من الارض التي يمشي فيها وكلما تقدم ميلاً تبعته السكة الحديدية حفظاً لخط الاتصال هذا فضلاً عن ملازمته مجرى النيل · واقام على هذا الصبر والتدقيق والاستعداد شهوراً طوالاً وفصولاً عديدة وهو يزحف زحف النمال اي بتأنٍ وثبات حتى بلغ ام درمان وكسر التعايشي ودراويشه في الواقعة التي دوى خبرها في جميع اقطار العالم كما دوى قبل ذلك خبر فناء حملة هيكس ومقتل غوردون يوم سقوط الخرطوم · وبذلك سقطت دولة الدراويش وحلت محلها دولة التمدن والارتقاء

***

﴿ رسوم هذه المقالة ﴾ ولا يخلو من فائدة بعد البيان الذي تقدم عن حالة السودان الحاضرة وتاريخها الماضي ان نري القارئ بالعين شيئاً من المناظر السودانية التي رآها بالفكر ولذلك وضعنا في هذه المقالة الرسوم التي تقدمت · واولها رسم مدينة (الخرطوم) قبل قيام دولة الدراويش واستيلائهم عليها لا في حالتها الحاضرة · ومن مجرد النظر اليها يُعلم ما كانت عليه من الحضارة والتمدن في ذلك الزمان · وثانيها مدينة (اصوان) التي كانت النقطة الاولى التي زحف منها الجيش المصري الانكليزي لاسقاط دولة الدراويش · وثالثها معسكر مصري في بلاد السودان في اثناء الحملة · ورابعها منظر دراويش يدافعون عن خيامهم وعيالهم · وخامسها صحراء السودان المحرقة التي كانت اشد على الجنود الانكليزية

في ايام هيكس باشا واللورد ولسلي من حراب الدراويش ورماحهم . وقد كانت الجرائد الفرنسوية والانكليزية المعارضة في فتح السودان ترسم هذه الصحراء وتكتب تحتها « انظروا البلاد التي سارت الجيوش المصرية والانكليزية للاستيلاء عليها » تعني بذلك انها كلها قفار محرقة لا تُشرى بدم جندي واحد . وسادسها منظر الشلالات في النيل وهو منظر سمع به القراء ولم يروه . وسابعها منظر سلاطين باشا في لباس الدراويش . وقصة سلاطين باشا مشهورة . فان الدراويش اسروه فاضطر الى مجاراتهم فلبس لباسهم واظهر الاسلام والطاعة لهم وتزوج منهم . ثم غافلهم وفرّ من اسرهم وهو اليوم مفتش عام لحكومة السودان . وثامنها رسم سوداني يصلي في الصحراء بجانب جمله . وتاسعها طريقة الفلاحة في السودان وهي لا تختلف كثيرًا عن الفلاحة في مصر والشام كما ترى في الرسم . وعاشرها الشكل السوداني باشد قوته

***

هذا ولا ريب انّ ظهور الجناب الخديوي العالي في تلك البلاد بعد تلك الفتن والاضطرابات سيكون بشيرًا للسكان بزيادة تحسين الحال في الاستقبال . سيكون ظهوره فيهم رمزًا الى استمرار الامن والسلام في ربوعهم . وضمانة لاقامة العدل والسواء بينهم . وحفظ حريتهم العمومية والدينية . وحرية التجارة والمعاملة . وتعميم التعليم الابتدائي والتنشيط الزراعي ليكون السودان للسودانيين لا لسواهم

ولا بدع بعد هذا ان يستقبل السودانيون سموه بما سيستقبلونه به من التعظيم والاجلال . فان شيوخهم سيرون في العباس « فتى الشرق » كما قال شاعره في هذا الشهر صورةَ شبابهم الماضي . فيحنون الى شبابهم . والشبان يفتخرون بشبابه الغض الذي يملك ملكاً عزيزًا . فكأنهم يعتبرون شبابهم مالكاً معه . والنساء يرين فيه صورة الاخ والابن والزوج وكل عزيز كريم فيطرن شوقًا اليه . والاولاد يقفون برهبة وخشوع وهم يفكرون في صيرورتهم غدًا من جنوده ورعيته . واكابر الامة وموظفوها وضباطها وجنودها يرون فيه صورة السلطة العليا متجسمة فيخضعون لسيفه ولارادته

وكل هذه الصور المختلفة . كل حنين الشيوخ وافتخار الشبان وشوق النساء وخشوع الاولاد واحترام الاكابر والموظفين والقواد — كلها ستترجم غدًا الى لغة البشر بهتاف يطبق اقطار السودان ودوي المدافع من وادي حلفا الى ام درمان وتقاطر السودانيين من اقصى البلاد



الشكل السوداني في اشد قوته

الوفا الوفا لمشاهدة امير البلاد والهتاف مع عساكره — فليحيَ عباس والجامعة تشاركهم منذ الآن في هذا الهتاف

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

(في كل جزء شهير وشهيرة)

الملك والحكيم مينوس

﴿ اكتشاف عظيم في كريت ﴾

ترجمة مينوس · قصة الثور الانساني والبطل ثيسيوس · ثلاثة اكتشافات · القصر والتيه · تمدن جديد · لغة جديدة · للخرافات اصل تاريخي

في التاريخ اليوناني قسم يسمونه « الميثولوجيا » وهو ما يعبرون عنه بالتقاليد اليونانية الخرافية · وهذه التقاليد قسمان ديني وغير ديني · اما التقاليد الدينية فاكثر ابناء المدارس اطلعوا عليها في كتاب (تليماك) الذي جرت العادة بتدريسه في المدارس الفرنسوية في الغرب والشرق منذ القرن الثامن عشر · وخلاصتها ان جوبتير هو ابو الآلهة وان الآلهة متعددة فللبحر اله وللحرب اله وللحكمة اله وهلم جرًّا · واما التقاليد غير الدينية فهي عبارة عن تاريخ ابطال اليونان الاقدمين وحروبهم وغزواتهم · وابلغ ما كُتب في هذا الموضوع الايلياذه والاوديسه للشاعر هوميروس المشهور

ومن اعظم صور اولئك الابطال صورة الملك والحكيم (مينوس) الذي حكم في كريت وسن الشرائع الكريتية التي فاقت في حكمتها وعدالتها كل ما تقدمها من الشرائع البشرية · وحسبنا في الدلالة على عظمة تلك السنن ان نقول ان الفيلسوف ليكورغوس الاسبرطي بنى عليها الشريعة التي سنها لاسبرطه العظيمة · وقد اخذ اليونان عند بلوغهم اقصى تمدنهم شيئاً كثيرًا من الشرائع الكريتية وكانوا يقولون ان الآلهة علَّمت مينوس اياها ليعلّمها للناس · فكأنَّ شرائع كريت التي وُضعت قبل تمدن اليونان كانت اساساً للتمدن اليوناني وبالتالي دعامة للتمدن الحاضر

على ان هذا الامر مع اهميته ليس بالسبب الذي حملنا على كتابة هذا الفصل بل هنالك سبب جديد وهو اكتشاف عظيم حدث في كريت في هذا العام · فان المستر ارثر

ايفانس الانكليزي اعلن انه كشف في كريت قصر مينوس وضمنه (التيه) المشهور في التاريخ الخرافي · فاستغرب علماء التاريخ هذا الاكتشاف اشد استغراب لاعتقادهم بفساد ما قيل عن التيه وانكارهم اياه وان كانوا لا ينكرون ان مينوس حكم كريت وسن لها شرائعها القديمة · وبياناً لهذه المسالة المهمة نورد لمحة من تاريخ مينوس وتيهه توصلاً الى النتيجة العظمى التي استخرجوها من هذا الاكتشاف الجديد

***

﴿ ترجمة مينوس ﴾ جاء في التقاليد اليونانية الخرافية ان مينوس ولد من الاله (زفس) اله الشمس ومن (اوروبا) الاهة الموسيقى والنشيد وقد حكم في كريت وجزائر بحر ايجيوس (الارخبيل اليوم) قبل حرب تروادة بثلاثة اجيال · وقد تعلم الحكمة والشريعة من الاله زفس ابيه · وكانت له صلات بالاله بوزايدون فارسل له هذا الاله من اعماق البحر ثوراً جميلاً لا عيب فيه ليقربه على مذبح الالهة فاعجب هذا الثور مينوس وابقاه عنده وكان لمينوس زوجة تدعى باز يافاي فلما رأت الثور احبته حباً شديداً

﴿ قصة مينوتور ﴾ وقد وصف كتاب اليونان هذا الثور فقالوا انه كان مشتركاً بين الانسان والحيوان فنصفه الاعلى نصف ثور ونصفه السفلي نصف انسان وهم يسمونه مينوتور

وكانت مملكة كريت اقوى ممالك اليونان في ذلك الزمان · وكان لها اسطول حربي يمخر عباب البحر ولعل ذلك هو السبب الذي جعل الكريتيين يزعمون يومئذ ان للملك مينوس صلات بآلهة البحار · ففي ذات يوم سافر اندوجيوس ابن مينوس الى بلاد اليونان فقتله بعض اليونانيين اعتداء في المقاطعة التابعة لاثينا فثار مينوس ملك كريت وشن الغارة عليهم انتقاماً لابنه فامعن فيهم قتلاً وسلباً وقد ساعدته السماء يومئذ فابتلت تلك البلاد بالطاعون والجدب وانحباس المطر · فسأل اليونانيون كهانهم ما الطريقة الى كشف هذا البلاء فاجابهم كهانهم عن لسان الاله ابولون ان هذا البلاء لا يكشف عنهم الا متى استرضوا الملك مينوس فجاءوه واقترحوا عليه عقد الصلح فاشترط عليهم مينوس ان يرسلوا اليه في كل عام سبعة من خيار فتيانهم وسبعاً من اجمل فتياتهم بدلاً من ابنه · فاجابوه الى هذا الطلب وصاروا يدفعون اليه في كل عام هذه الجزية البشرية

ولكن ماذا كان يصنع مينوس بالفتيان والفتيات الذين كانت اثينا ترسلهم اليه في كل عام · فبعض الكتاب يقولون ان مينوس كان يقدمهم للثور مينوتور ليفترسهم وبعضهم

يقول انه كان يجعلهم في جملة خدامه وجواريه في القصر

ففي العام الثالث من وضع هذه الجزية على الاثينيين اخذوا يتضجرون و يتذمرون . وكان ملكهم يُدعى (ايجيوس) وكان له ولد وحيد يُدعى البطل ثيسيوس وله قصص كثيرة . فلما رأى هذا الشاب الشجاع تذمر الاثينيين رام ان يجعل نفسه قدوة حسنة لهم فاعلن انه سيسافر مع الشبان الستة الذين يُرسلون الى كريت و يقتل الثور انقاذاً لاثينا منه . فحزن ابوه على سفره ودفع الى ربان السفينة شراعاً ابيض ليضعه للسفينة حين عودتها من كريت اذا كان الاثينيون يعودون فيها سالمين بدلاً من الشراع الاسود الذي كانت تضعه علامة للحزن

ولما وصل البطل ثيسيوس و رفاقه الى كريت رأته اريادنه ابنة الملك مينوس فاحبته واعطته كبة خيوط وسيفاً . ثم ادخل على المينوتور الهائل فقاتله ثيسيوس حتى قتله بسيفه ثم خرج من التيه الذي كان الثور يقيم فيه وهو يستدل على طريقه بالخيوط التي مدها من الباب الخارجي حين دخوله . ولما قتل ثيسيوس الثور سقطت الجزية عن الاثينيين . فعاد بالسفينة الى اثينا مع رفاقه . ولكن ربان السفينة نسي ان يضع الشراع الابيض مكان الاسود . فلما اقبلت السفينة كان الملك ايجيوس ينتظر عودتها وهو واقف على صخرة عالية على شاطىء بحر الارخبيل . فلما ابصر شراعها الاسود تحقق ان ابنه قد قُتل فالقى نفسه من الصخرة فمات لساعته ولذلك سُمي هذا البحر بحر ايجيوس الى اليوم . اما ثيسيوس فاحتفل به الاثينيون احتفالاً عظيماً لانه خلع نير الجزية عن رقابهم

هذه خلاصة رواية المؤرخ فلوطرخوس في تاريخ حياة ثيسيوس عن المينوتور ومقتله من يد هذا البطل اليوناني . فما هو الصحيح وما هو الفاسد من هذه الرواية

﴿ الاكتشاف الجديد ﴾ لقد كان كثيرون من المؤرخين المتاخرين يرون ان قصة المينوتور حديث خرافة اما اليوم فقد اثبت الاكتشاف الجديد الذي نحن في صدده ان في هذه القصة شيئاً من التاريخ . فان المستر ارثر ايفانس الذي تقدم ذكره اكتشف في كريت قصر الملك مينوس وضمنه التيه الذي كان المينوتور فيه . وقد كتب يصف القصر والتيه فقال ما خلاصته

ان القصر الذي اكتشفته مبني منذ ١٥ قرناً قبل التاريخ المسيحي . ولا تزال مواده قوية مع ما مرَّ عليه من القرون . وهو مبني من الحجارة والطين وفيه كثير من الاعمدة الخشبية . وخارجه مدهون بلون ابيض وازرق واحمر واسود . اما داخله فهندسته غير

منتظمة ففيه بضع قاعات واسعة وكثير من الغرف الضيقة تُفتح ابوابها على دهاليز لا تُحصى حتى ان من يدخلها يتيه فيها · ولا ريب في ان احدى القاعات الكبرى كانت قاعة عرش مينوس لان في وسطها عرشاً فخماً · وعلى جدران هذه القاعات والغرف والدهاليز كثير من رسوم المينوتور ورسم الفأس المزدوجة التي هي رمز الى زفس اله كريت وملكها الاول وصور مناظر طبيعية واشخاص كثيرين وفي جملة صور هذه الاشخاص صورة فتى اهيف يشد وسطه بزنار من معدن وفي جيده عقد من فضة وفي اذنيه قرطان · فهذه الصورة هي اول صورة وصلت الينا من التمدن الميسيني القديم · وهي مرسومة بمهارة واتقان يستوقفان الانظار · ومن تلك الصور ايضاً صور كثيرين من الفتيان والفتيات يتلاعبون تحت الاشجار او يتحادثون · فغير بعيد ان يكونوا من جواري القصر وخدامه الذين كان الاثينيون يرسلونهم الى كريت فدى عن ابن مينوس المقتول

ولكن كل هذه الاكتشافات البديعة لا تُذكر بازاء اكتشاف علمي آخر اكتشفه المستر ايفانس في هذا القصر · وهو انه عثر فيه على كثير من الخزائن وآنية من فخار مملوءة بقطع من اللبن عليها كتابات بلغة جديدة · وهذه اللغة لا تشتق من الاشورية ولا المصرية بل صبغتها اوربية وهي مستقلة عن اللغة اليونانية · وذلك يدلُّ على ان سكان كريت كانوا يتكلمون منذ ١٥ قرناً قبل التاريخ المسيحي لغة مستقلة عن باقي اللغات الميتة والحية · وان حروف الهجاء الفينيقية التي هي اصل لغات الامم المتمدنة في هذا الزمان لا دخل لها في تلك اللغة الكريتية قطعياً لان هذه قد وُجدت قبلها على ما يظهر

هذا هو الاكتشاف اللغوي · اما الاكتشاف التاريخي فهو مبني على الرسوم التي تقدمت الاشارة اليها · فان التمدن اليوناني لم يقدر على بلوغ هذه الدرجة من الاتقان والمهارة في الفنون الجميلة الا بعد انقضاء تسعة قرون عليه من تاريخ رسم هذه الرسوم على قصر مينوس · وذلك يدل انه كان في كريت قبل ظهور التمدن اليوناني بتسعة قرون تمدن عظيم بلغت فيه الفنون الجميلة مبلغاً عظيماً ولا يزال التاريخ الحديث يجهل تفاصيل هذا التمدن

ثم انه يؤْخذ ايضاً من هذا الاكتشاف ان التقاليد اليونانية القديمة ليست كلها خرافية بل ان لخرافاتها اصلاً من الحقيقة في بعض الاحيان

والنتيجة الرابعة التي تؤْخذ من هذا الاكتشاف ان بعض المناظر الطبيعية التي وجدت مرسومة على جدران قصر مينوس تشبه مناظر مصر الطبيعية كل الشبه فكأنَّ راسمها قد زار

مصر في تلك القرون البعيدة

وبناء عليه فلا يبعد ان يكون قد قام في الاقطار اليونانية قبل تمدن اليونان تمدن عظيم كان مركزه في كريت

﴿ موت مينوس وقبره ﴾ ومما جاء في تلك التقاليد ان مينوس لم يمدن شعبه وبلاده بالشرائع والعدالة فقط بل مدنهم بالفنون الجميلة ايضاً . فقد كان عنده نقاش مشهور في عالم الميثولوجيا باسم « ديداليوس » وهو الذي بنى لمينوس القصر والتيه واقام في بلاده كثيرًا من الابنية الفخيمة . وقد تقدم الكلام ان زوجة مينوس احبت المينوتور فدخل هذا النقاش بينها وبين هذا الثور فكان وسيط حب بينهما . فلما درى بذلك مينوس غضب عليه ففرّ النقاش الى جزيرة صقلية فلحق به مينوس بسفنه وطارده الى مدينة كاميكوس . ولما وصل الى هذه المدينة دخل الى حمام فيها فهجمت عليه بنات الملك كوكالوس وصببن عليه ماء مغلياً فمات لساعته ودفن في تلك المدينة . ولما بنيت مدينة اكريجنته على انقاض مدينة كاميكوس المذكورة آنفاً نُبشت عظام مينوس واعيدت الى الكريتيين فوضعوها في مدفن فخيم وكتبوا عليه « مدفن مينوس ابن زفس » واكثرهم كان يعتقد ان هذا القبر قبر زفس نفسه

وكنا نود ان ننشر في هذا الفصل صورة مينوس كما وجدت على النقود الكريتية والآثار ولكننا لم نعثر عليها فنكتفي بوصفها . فان مينوس مرسوم فيها بهيئة رجل ذي لحية كثة وشعر كثيف مسترسل وعلى راسه تاج الملك وفي عينيه لوائح القوة والكبرياء ومنظره مهيب للغاية كانه منظر زفس نفسه . وقد وجدت رسوم اخرى على الآثار رُسم فيها مينوس في الجحيم وهو يقضي بين الناس لاشتهاره بالعدل والحكمة طبقاً لما كان عليه اليونان من ان الآلهة جعلته قاضياً للجحيم بعد موته

الشاعرة سافو اليونانية

﴿ شاعرة متلين ﴾

(واول امراة في العالم المتمدن دعت النساء الى اعمال الرجال)

لم يُلفظ اسم جزيرة متلين في هذا الشهر حتى صاح الكتاب في كل مكان « سافو سافو » لان جزيرة متلين اشتهرت بشاعرتها سافو اكثر من اشتهارها بمن نبغ فيها في

الزمن القديم من العلماء والفلاسفة والشعراء · وبما اننا ننشر في كل جزء سيرة شهير وشهيرة من مشاهير المتقدمين والمتاخرين تنشيطاً للهمم الى الاقتداء بهم والماماً بحوادث التاريخ المرتبطة بتاريخهم فاننا نشير ههنا الى ترجمة هذه الشاعرة المشهورة ووصف وطنها متلين بما يجب من الاختصار فنقول

﴿ ترجمة سافو ﴾ ولدت سافو في جزيرة متلين في المدينة المسماة بهذا الاسم وكانت من قبل تسمى ايرسوس · وعاشت بين عام ٦٣٠ وعام ٥٧٠ قبل الميلاد المسيحي · وقد حدثت في متلين فتن واضطرابات فهجرتها سافو الى صقلية ثم عادت اليها · ومنذ هذا الحين ابتدأت حياتها الحقيقية

وكانت سافو شديدة المزاج وقد اجتمعت فيها كل قوة النفس اليونانية · وكانت جزيرة متلين آية في الخصب والسعة في ذلك الزمان واهلها في احسن حال · ومما كان يزيد حالهم صلاحاً لطف الطبيعة وجودة الهواء في الجزيرة · وكان شعراء الجزيرة وادباؤها مولعين بالمعيشة الطبيعية وعنهم يؤثر القول بوجوب الحب حتى الموت والتمتع بكل حسناته · وكانت سافو من اشدهم حباً للطبيعة واكثرهم ولعاً بالشعر والموسيقى فجمعت اليها بعض حسان متلين واخذت تعلمهن الشعر · ومن تلميذاتها اللواتي حفظ التاريخ اسماءهن ارنيه دي طيلوس ودوفيله دي بنفيليا · فاقبل الناس على استماع تعليمها وتهافتوا على نظمها تهافتاً شديداً وحفظوه وتناقلوه كانفس ما يقنى · فكانت سافو في نظرهم كمثال للجمال والطرب والبلاغة والحب · على ان اختلاط سافو بالشبان والرجال وملاطفتها اياهم اطلق السنة الناس في اساءة الظن بها كما اساءوا الظن بسقراط يوم اخذ يلاطف النساء ويجاملهن · ولكن من الثابت ان اداب هذه الشاعرة كانت خالية من كل شائبة · وبناء علية لا صحة البتة لما اشاعه كتاب اليونان عن حبها لفاون وانتحارها في سبيل حبه

ويؤخذ من كتب سافو انه كان لها اخ وقد ابتاع هذا الاخ الحسناء (رودوبا) من مصر وتزوج بها · وقد تزوجت سافو نفسها بسركولاس دندروس وولدت له ابنة دعتها (كليس) · اما منظوماتها فقد ضاعت كلها تقريباً وكانت مجموعة في تسعة كتب جمعها علماء الاسكندرية اكراماً لعرائس الشعر التسع · ولم يبق الآن منها سوى قصيدة الى افروديته وقصيدة الى فتاة حسناء وبعض شذرات مجموعة في كتاب · وقد ابتكرت سافو في الشعر اليوناني نوعاً للنظم معروفاً بنوع سافو

﴿ الشعر يقلب نظام الطبيعة . الانثى ترث دون الذكر ﴾ وقد بلغت من شهرة سافو في متلين ان ضربت نقود تلك الجزيرة باسمها و رسمها و وصلنا كثير من هذه النقود وقد نقشت لها التماثيل ايضاً مبالغة في اكرامها . ولكن اهم اكرام نالته سافو في وطنها هو قلب نظام الطبيعة من حيث الارث في جزيرة متلين . فان الاناث يرثن في متلين دون الذكور . وترى السلطة الاولى للنساء والفتيات اي ان المرأة هنالك ملكة حقيقية بالاسم والفعل . وما سبب هذا الانقلاب الا امتياز نساء متلين باللطف والجمال وقوة النفس ونبوغ امرأة كسافو جعلت النساء فيها مفضلات على الرجال . وهي المرأة الاولى التي دعت النساء في العالم المتمدن الى اعمال الرجال

﴿ وطن سافو ﴾ يسمي الاتراك جزيرة متلين « مدللي » وقد جاراهم في ذلك كتاب الصحف العربية . والصواب ان هذا الاسم في اصله اليوناني لسبوس او « ميتيليني » وهي جزيرة واقعة في الشمال الشرقي من الارخبيل في بحر ايجيوس الذي تقدم ذكره في مقالة مينوس وهي اكبر جزيرة فيه . ومساحة ارضها ١٧٤٩ كيلو متراً مربعاً وعدد سكانها ١٠٠ الف نسمة . وهذه الجزيرة مقسومة الآن الى ثلاثة اقضية وهي اقليم متلين او كاسترو واقليم كالونيا واقليم موليفو . وعدد مدنها اربعة وهي : متلين وقد سميت الجزيرة باسمها وموليفو وسيكري وكالونيا . ويتولى ادارة هذه الجزيرة قائمقام عثماني تابع لولاية الارخبيل

وجزيرة متلين كثيرة الجبال قليلة الانهار ولكنها كثيرة الينابيع وفيها كثير من الموانىء الواسعة كميناء « موليفو » وهواؤها جيد جداً . واشهر حاصلاتها الزيتون (ومنه يصنع صابون مدللي المشهور) والتوت والكرمة التي يصنع من عنبها خمر مشهورة منذ الزمن القديم . وتجارة متلين مصروفة الى مرسيليا ولندن والاستانة وتريستة وازمير وهي تجارة واسعة لان الجزيرة بمثابة مستودع للاناضول . اما صادراتها فهي من زيت الزيتون والصابون والجلود المدبوغة والحرير والاثمار والخمور . واما وارداتها فهي من السكر والبن والارز والحديد والمنسوجات وما اشبهها

﴿ تاريخها ﴾ يقسم المؤرخون القبائل التي تألفت منها العناصر اليونانية الى اربع وهي : قبيلة الايوليين . وقبيلة البيوثيين . وقبيلة الايونيين . وقبيلة التساليين . وقد كان لكل فريق تمدن مخصوص وكانت جزيرة متلين عاصمة تمدن الايوليين لان هذا التمدن بلغ فيها اشد مبلغه . وقد دخل الايوليون الى هذه الجزيرة في القرن الحادي عشر قبل الميلاد

فطردوا التروادبين والاسيوبين الذين كانوا فيها واستولوا عليها · وفي القرن الرابع والخامس قبل الميلاد المسيحي بلغ تمدنهم اشده فنبغ منهم في الشعر سافو والسيوس · وفي الموسيقى تر باندر واريون · وفي الفلسفة ثيوفراستوس و يثاكوس· وفي التاريخ هيلانيكوس وغيره

وفي القرن الرابع قبل الميلاد فتحها الفرس وفي عام ٤٧٦ انضمت الى التحالف اليوناني على الفرس وفي عام ٤٢٨ ثارت على اثينا فاخضعتها اثينا بقوة وقسوة · ثم جاء الرومان واستولوا على هذه الجزيرة · ثم انتقلت من الامبراطورية الشرقية الى البنادقة فبقيت في يدهم حتى عام ١٤٦٢ بعد الميلاد فتحها يومئذ محمد الفاتح واستولى عليها · ولما ثار اليونان في حرب الاستقلال ثارت هذه الجزيرة ايضاً ولكن العنصر التركي كان اكثر من العنصر اليوناني فيها فلم يقدر اليونان عليها واتخذتها الدولة العثمانية يومئذ محطة لسفنها ومستودعاً لمؤنها · وقد احتل اليونان بعد ٢١ يونيو من عام ١٨٢١ ثغرين من ثغورها وهما سيكرسي وكالونيا ولكنهم عجزوا عن الثبات فيهما امام الجند العثماني

***

ولا بدَّ في ختام الكلام عن جزيرة كريت وجزيرة متلين من وقفة للنظر في الزمن الماضي · فان هاتين الجزيرتين كانتا فيما مرَّ مركزين لتمدنين عظيمين كانت ضوضاؤهما تملأُ الدنيا كلها · فمن جهة تسمع سافو في وطنها متلين ذات الامم الموسيقي لان صوته مطرب مثلها تنادي قائلة — الحب والجمال والشعر والموسيقى : هذه هي لذة الحياة في هذا العالم · ومن جهة اخرى تسمع صوت مينوس الحكيم ينادي من كريت — الحكمة والعدل والشرائع : هذه هي فضيلة الحياة في هذا العالم · وحولها او بالاحرى تحتها شعب متمدن نخور بمدنيته على كل مدنية · فاساطيله تمخر البحر · ومعامله تملأُ البر · وفنونه وفلسفته وعلومه تُعتق كالخمر في اقبية الزمان حتى يجيء ابناء العصور التالية ويستخرجوها · وقد وصل الينا شيءٌ كثير من تلك الخمور المعتقة ولكن بعد جفاف الكرمة التي عُصرت منها ان لم نقل يبسها · فلم تعد كريت ومتلين اليوم بعد ذلك المجد المعهود والظل الممدود الا كبركان خامد نفدت حرارته كلها · وتلك الايام نداولها بين الناس والارض لله يورثها من يشاء

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهمُّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ المسيح بقلم رنان

(تابع لما قبله)

الفصل العاشر . النساء والاود

وكان يسوع محباً للشعب لانه علم ان ملكوته لا يسود الاَّ به فكان يؤْثر معاشرة الضعفاء والفقراء والعشارين والمنبوذين على معاشرة السراة والاكابر . وكان يطوف انحاء الجليل راكباً على بغلة جرياً على عادة الشرقيين الذين يتخذون للسفر بغالاً ذات عيون سوداء حولها اهداب طويلة تجعل لها منظرًا لطيفاً جدًا . وكان تلامذته يفرشون ثيابهم تارة في طريقه وتارة على ظهر البغلة . ومتى وصلوا الى احدى القرى ونزلوا في بيت صار ذلك البيت مباركاً واجتمع فيه كل اهل القرية لان بيوت الضيوف في الشرق تجتمع لجميع الناس . وكان اكثر الناس اجتماعاً عليه النساء والاولاد . وكان يسوع يحب الاولاد حباً شديدًا . واتفق ان تلامذته ارادوا في ذات يوم ان يبعدوهم عنه فرارًا من ضوضائهم فقال لهم يسوع كلمته المشهورة «دعوا الاولاد يأْتون اليَّ لان لمثل هؤُلاء ملكوت السماوات» وقد حدث في ذات يوم خلاف بين التلامذة بشأْن التقدم والرتبة فاخذ يسوع ولدًا واقامه في وسطهم ثم قال لهم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل هذا الولد (في البساطة والطهارة والتواضع والحب) فلن تدخلوا ملكوت السماوات . وكان الاولاد يزدحمون من كل جانب ويهتفون له «اوصنّا لابن داود» فكان يروقه هتافهم . وبذلك كان بدءُ ظهوره عبارة عن حركة يقوم بها النساء والاولاد . ولا يخفى ان كل قوى النفس الانسانية وكل ما في القلب البشري من طهارة وحب وبساطة مجموع في هذين الفريقين

فكان ملك السيد يومئذ كان ملك الاولاد وكأنه رام الاستيلاء بهم على العالم اجمع. فما كان اجمل ذلك الزمن العظيم · ما اجمل ان تندى الانسانية ولو لحظة واحدة تلك القيود المادية التي تقيدها بهذه الارض وتنزع الى ملك العلي · وما اسعد اولئك الذين شهدوا باعينهم هذا المشهد الالهي واشتركوا في تلك الآمال العظيمة · ولكن لا ريب ان هنالك رجلاً اسعد منهم · وهو ذلك الذي ينفض عنه غبار كل وهم وشر ورذيلة كما قال يسوع ويعيد في نفسه بواسطة نقاء باطنه وصفاء ضميره وقوة ارادته تلك الصورة الالهية التي هي ملكوت الله · هذا هو الرجل العاقل السعيد ومن عداه فعبد او غشاش يستحق الشفقة والرحمة ...

الفصل الحادي عشر · مقتل يوحنا المعمدان

ولما انتشرت شهرة المعلم العظيم هذا الانتشار بلغت الى يوحنا المعمدان في سجنه فبعث اليه اثنين من تلامذته يسألانه « هل انت الآتي ام ننتظر آخر » فلما قدم التلميذان عليه وجدا حوله ضوضاء الاحتفال والافراح والمآدب فعجبا من ذلك كما نقل الانجيلي متى (الاصحاح التاسع) لان معلمهما يوحنا كان لا يأكل ولا يشرب الا ما كان ضرورياً لقيام الجسم · ولما ابلغاه رسالة يوحنا اجابهم « طوبى لمن لا يشك فيَّ » فعادا الى سيدهما ولكننا لا نعلم اذا كانا قد وجداه في قيد الحياة او ان انتيباس كان قد امر بقتله · وقصة مقتل يوحنا مشهورة فان هذا الرجل الصارم كان في محادثاته مع انتيباس يقول له دائماً انه قد اساء الى الشريعة اليهودية بزواجه من هيروديا · فزاد ذلك في سخط هيروديا عليه وكان لهيروديا ابنة من زوجها الاول تُدعى صالومه · ففي يوم تذكار مولد انتيباس اقام هذا الملك احتفالاً في قلعة ماشرو في القصر الجميل الذي بناه هيرودوس الكبير فيها كما روى يوسيفوس فقامت صالومه بايعاز من امها ورقصت في الحفلة رقصة من الرقصات المشهورة في الشرق بكونها غير ادبية · فطرب انتيباس اشد طرب من هذه الرقصة وقال لها اطلبي فانني اعطيك ما تشائين · فطلبت رأس يوحنا المعمدان · فاستاء انتيباس من هذا الطلب ولكنه كره ان يردها فامر احد حراسه فذهب وجاءه برأس يوحنا على طبق

فكان هذا الشيخ الجليل اول شهيد من شهداء الديانة المسيحية · وكانت جثته اول جثة وُضعت في الطريق الدموية التي سلكها تلامذة السيد فكأنها فتحتها لهم · وذلك مما جعل يوحنا همزة وصل بين العالم القديم والعالم الجديد

وقد سخط الشعب اليهودي من صنع انتيباس وغزا الحارث امير العرب الذي كانت ابنته زوجة انتيباس قبل اقترانه بهيرود يا مملكة هذا الملك للانتقام لابنته واسترداد قلعة ماشر ومنه فانكسر انتيباس في هذه الحرب وقد عدَّ الشعب اليهودي هذا الانكسار عقاباً له على ما صنعه بيوحنا المعمدان

واما تلامذة يوحنا فانهم اخذوا جثتــه ودفنوها وقد عاش مذهبه بعده فلم يمت بموته ولكنه لم يعش وقتاً طويلاً بل انطفأ شيئاً فشيئاً بعد انتشار الديانة المسيحية لان المسيحيين اصبحوا يعتبرون انصاره خارجين عن المسيحية . وكان اليهود ينكرون مجيء «مسيا» استناداً الى ان ايليا لم يأتِ كما تنبأ دانيال فكان المسيحيون يجيبون بان يوحنا هو ايليا

الفصل الثاني عشر . يسوع في اورشليم

وكان يسوع يذهب الى اورشليم مع حجاج اليهود في كل عام تقريباً . واول مرة اطال الاقامة فيها كانت على ما يظهر في عام ٣١ بعد ميلاده اي بعد مقتل يوحنا المعمدان . وكان يسوع يحجُّ مع حجاج اليهود لانه كره جرح عواطفهم والازدراء بالحج فضلاً عن معرفته ان الواجب للقيام بعمل عظيم الخروج من بلاد الجليل والاقامة في اورشليم مركز اليهود لمهاجمة التقاليد اليهودية فيها

وكانت اورشليم في ذلك الزمان كما هي اليوم اي مدينــة الجدال والدعوى والخصام والبغض والامورِ الصبيانية . وكان الفريسيون متسلطين على عقول اهلها . وكان اهتمامهم مصروفاً الى درس الشريعة اليهودية والمجادلة فيها باسلوب جاف خشن لا يغذي النفس ولا يهذب العقل . وكان الواحد منهم يقضي السنوات الطوال في درس القواعد والاصول القديمة حتى اذا وعى منها شيئاً انتفخ كبرياءً وعظمةً بدعوى العلم . فكان الجليليون الذين يحجون من الجليل اليها لا يجدون فيها شيئاً مما كان في بلادهم من الهدوء الطبيعي والجمال ونقاء العيش . ومما كان يزيد أَلمهم ان يهود اورشليم كانوا يعتبرون يهود الجليل دونهم . وكان قولهم «الجليلي الاحمق» مضرباً للمثل عندهم لاعتقادهم الحمق والبلاهة في الجليليين . وكان من امثالهم ايضاً «هل يقوم من الناصرة رجل صالح» . وبالجملة فقد كانت الجليل محتقرة في نظرهم ولم يكن لها من شهادة في كتبهم غير قول اشعيا الذي اختلف مفسروهم في تفسيره وهو «ارض زبولون وارض نفتاليم طريق البحر عبر الاردن جليل الامم»

ومما زاد لم يسوع وتلامذته الجليليين في اورشليم جفاف الطبيعة حول هذه المدينة .

فان ارضها كثيرة الحجارة جافة واوديتها لا ماء فيها . ومن يسرح طرفه فيها في جهات البحر الميت واراضيه القفراء يشعر شعورًا غريبًا . فان هذا المنظر لوكان في مكان آخر لكان كريهًا منبوذًا ولكنه حوالى اورشليم جدير بالاعتبار والتامل لما يوحي الى النفس من الانكار العديدة . وكان منظر اورشليم في زمن يسوع كمنظرها اليوم تقريبًا . فانه لم يكن فيها من اثر قديم لان اليهود اقاموا حتى المكابيين (الاشمونيين) ولا شيء عندهم من الفنون الجميلة . ولكن لما قام ملكهم وكبير كهانهم هركان في عام ٧٩ قبل الميلاد اخذ يزين المدينة ويجملها . ثم جاء هيرودس الكبير فجعلها مدينة شائقة . وقد روى يوسيفوس ان الابنية الجميلة التي اقامها هيرودس الكبير فيها كانت شبيهة بالابنية العظيمة التي تخلفت عن العصور القديمة . وقد كان في ضواحي اورشليم في ذلك الزمن كثير من المدافن الجميلة مبنية على القواعد اليونانية . اما يسوع فلم يكن يعبأ بهذه الاثار الجميلة لان عقله كان مشغولاً بالامور الروحية دون سواها ولم يكن له ميل الا الى ما له علاقة بالقلب

اما الهيكل العظيم فانه كان جديدًا في ايام يسوع . فان هيرودس الكبير بدأ باعادة بنائه في عام ٢٠ — ٢١ قبل الميلاد . وقد اتم بناء صحن الهيكل نفسه في ١٨ شهرًا كما روى يوسيفوس واقتضى بناء ابوابه واروقته ثماني سنوات . اما ملحقاته فلم يتم بناؤها الاَّ قبل سقوط اورشليم في ايدي الرومانيين بمدة يسيرة . وربما كان البنائون حين زيارة يسوع لها يبنون فيها . واذا كان قد شاهدهم يبنونها فلا ريب ان ذلك اثار في نفسه الكريمة عاطفة الاستياء لاعتباره تجديد بناء الهيكل دليلاً على ثقة اليهود بدوام تقاليدهم وفي ذلك اهانة لتعاليمه وعدم اكتراث بقدومه

اما منظر الهيكل فقد كان في غاية الفخامة . واذا دخلت الى الحرم وجامع عمر في اورشليم وتاملت في فخامة هذين المكانين تجلى لك جمال الهيكل اليهودي القديم لانهما منه . اما المسيو دي فوكيه الذي ساح في فلسطين وكتب كتابه « هيكل اورشليم » في سنة ١٨٦٤ فانه يشك في ان الحرم والجامع كانا من اجزاء الهيكل

وكانت اروقة الهيكل وساحاته مجتمعاً لجمهور غفير من اليهود وكانت بمثابة محكمة لهم ومدرسة وساحة عمومية . فانهم كانوا يتباحثون فيها ويتجادلون ويتناظرون . وكان الرومانيون في ذلك الزمن يحترمون عادات اليهود فلم يكونوا يدخلون الهيكل . وقد نُقشت في اماكن مخصوصة في الهيكل كتابات باللغة اليونانية واللاتينية لمنع الذين ليسوا يهودًا من اجتياز حدود معلومة في ساحات الهيكل . وكان ضبط شؤون الهيكل

الداخلية منوطاً برجال من اليهود دون الشرطة وكانت مفاتيح الابواب في يد ضابط منهم وعليه فتحها واقفالها ومنع الناس من الدخول الى الساحة الداخلية اذا كان في ايديهم عصي او كانت احذيتهم مغبرة او لاختصار الطريق في مرورهم من جانب الى جانب كما ورد في المشنا · ومما كانوا يهتمون به اشد اهتمام ايضاً منع الناس ولا سيما النساء من الدخول اذا لم يكونوا في حالة الطهارة التامة

ففي هذا المكان الواسع العظيم كان يصرف يسوع اوقاته مدة اقامته في اورشليم في ايام الحج · وكان اليهود يتهافتون في المواسم على هذا الهيكل تهافت الجراد ويقيمون في غرف منفرقة تسع كل واحدة منها عشرة اشخاص منهم او عشرين كما روى يوسيفوس : فكان يسوع يدخل بينهم مع رفاقه التلامذة · وكانت اصول العبادة في الهيكل تستوجب بيعاً وشراء فهناك حيوانات تُعرض للبيع لتقرب ذبيحة وهنالك موائد صيارفة لاستبدال النقود وذلك مما كان يجعل للهيكل منظر سوق عمومية · فهذه الشؤون المادية كانت تؤثر في نفس يسوع تاثيراً مؤلماً لانها عارية عن ديانة القلب والضمير التي جاء للنداء بها · وقد غضب يوماً غضباً شديداً مما كان يجري في الهيكل من البيع والشراء كما جاء في الانجيل فتناول سوطاً وطرد به باعة الحيوانات وقلب موائد الصيارفة وهو يصيح ان بيت الصلاة لا يكون بيتاً للصوص · وبالجملة فانه كان قليل الميل للهيكل وقد ورث تلامذته هذا الميل · ولم يعبأ احد من المسيحيين بالهيكل غير المسيحيين الذين كانوا مع اعتناقهم الدين المسيحي متمسكين بالشريعة اليهودية · ولما قام الامبراطور قسطنطين والامبراطرة المسيحيون الاولون تركوا في الهيكل ما بناه فيه ادريانوس من المباني الوثنية · ولم يهتم بالهيكل بعد سقوط اورشليم غير الامبراطرة الذين كانوا اعداء للديانة المسيحية كالامبراطور جوليانوس · ولما فُتحت اورشليم للعرب كان المسيحيون قد دنسوا الهيكل من بغضهم لليهود فامر الامام عمر باصلاحه واعادة شرفه اليه · كانه كُتب لهذا المكان ان يبقى ضد الديانة المسيحية

اما اكليروس اليهود فقد كان يومئذ آخذاً في السقوط بقدر ارتفاع افكار الشعب الاسرائيلي · اي كلما كان الشعب يتهذب وتنضج افكاره كان الاكليروس ينحط في نظره وفي الحقيقة · ومما زاد انحطاطه اعتداء هيرودس الكبير عليه · فان هذا الملك العظيم احب فتاة تدعى مريم ابنة سمعان بن بويطوس من سكان الاسكندرية ورام الاقتران بها في عام ٢٨ قبل الميلاد · فرغبة في رفع شان عائلتها جاء بابيها وجعله رئيساً

لكهنة اليهود . و بذلك صارت رئاسة الكهنة بمثابة وظيفة تابعة للحكومة . وكانت رئاسة الكهنة قبل ذلك للصدوقيين فلما وليها بو يطوس امتزج البو يطوسيون بالصدوقيين وتالف من الفريقين اكليروس شرهم لا يهتم بالامور الدينية الا في الظاهر وكل قوة نفسه مصروفة الى المطامع الشخصية والمطامع الذاتية . وقد بلغ من عدم احترام الشؤون الدينية عندهم ان صاروا يضحكون من الشعب في سرهم انهافته على ما كانوا يدعونه اليه ويهزأون بالحجاج الذين كانوا يفدون من اقاصي البلاد لزيارة الاماكن التي كان زمامها في ايديهم . وكانوا يعيشون من الهيكل وهم يرون بطلان الشؤون التي كانت تدر الرزق عليهم . وكان احب الامور اليهم ان يتركهم الناس وشانهم يغشون من يغشون و يتزأون ما يتزأون . ولذلك كانوا يكرهون سماع كلمة الاصلاح والقداسة ولم يكن من عدو لهم غير الذي يقوم لتنبيه الشعب فان ذلك يكدر صفوهم و يحول بينهم و بين رزقهم ومطامعهم

فكانت هذه الامور تثير نفس يسوع الكريمة حتى الغضب ولكنه كان في بدء الامر يكتم ما يقوم في نفسه ولا يطلع عليه احداً غير اخصائه

على انه مع ذلك اخذ يتكلم و يعلم في جملة المتكلمين والمعلمين في الهيكل فلم يكتسب في بدء الامر غير صداقة عائلة في بيت عنيا ولم يتعرف بغير مريم ام مرقص التي صار بيتها بعد بضع سنوات مجتمعاً للتلامذة و رجل يدعى نيقوديموس وهو من الفريسيين الاغنياء . وكان هذا الرجل كريماً شريف الاخلاق فمال ليسوع ولكنه لم اكن يزوره الا في الظلام فراراً من تعنيف الفريسيين . ولم يدخل هذا الرجل يومئذ في الديانة المسيحية لانه كره الدخول في حركة ثورية جديدة لم يكن قد دخل فيها احد من اكابر اليهود

اما اكابر علماء اليهود في ذلك الزمان فلم يلقَ يسوع احداً منهم لان الفيلسوفين هلل وشماي كانا قد فارقا الحياة ولم يكن من رجل كبير في الهيئة اليهودية يومئذ غير العالم « غمالائيل » حفيد هلل . وكان هذا الرجل ذا عقل مستقل حر محب للتساهل وذا علم بشؤون الحياة اليهودية وغير اليهودية . وكان من علامات تساهله انه كان يمشي في الشوارع منفتح العينين وهو ينظر الى النساء حتى النساء الوثنيات خلافاً للفريسيين الذين كانوا يمشون في الشوارع مغمضي العيون او ايديهم على عيونهم لئلا يبصروا النساء . وقد سامحه ابناء جنسه على هذا التساهل كما سامحوه على معرفته اللغة اليونانية لانه كان يخالط رجال البلاط . و بعد صلب يسوع وشروع تلامذته في التعليم في اورشليم رام الفريسيون سجنهم فقال فيهم غمالائيل قولاً جميلاً . وقد جاء في اعمال الرسل بهذا

الشان ما يلي

«فقام في المجمع رجل فريسي اسمه غمالائيل معلم للناموس مكرم عند جميع الشعب وامر ان يخرج الرسل قليلاً ثم قال لهم · ايها الرجال الاسرائيليون احترزوا لانفسكم من هؤلاء الناس في ما انتم مزمعون ان تفعلوا لانه قبل هذه الايام قام ثوداس قائلاً عن نفسه انه شيء · الذي التصق به عدد من الرجال نحو اربع مئة · الذي قُتل وجميع الذين انقادوا اليه تبددوا وصاروا لا شيء · بعد هذا قام يهوذا الجليلي في ايام الاكتتاب وازاغ وراءه شعباً غفيراً فذاك ايضاً هلك وجميع الذين انقادوا اليه تشتتوا والآن اقول لكم تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم · لانه ان كان هذا الراي او هذا العمل من الناس فسوف ينتقض وان كان من الله فلا تقدرون ان تنقضوه · لئلا توجدوا محاربين لله ايضاً »

فما اجدر الاكليروس المسيحي ان يقول اليوم في الذين لا يرون رايه ما كان يقوله اعداء الديانة المسيحية فيها

ومنذ ذلك الحين صار يسوع يرى وجوب افناء التقاليد اليهودية لا الاتفاق مع رجالها · فانه كان في هذه التقاليد ان الهيكل لا يدخله غير اليهود اما يسوع فاستغنى عنه · كان فيها ان الشريعة اليهودية لم تسن الا لابناء ابرهيم اما يسوع فكان يقول ان كل رجل يقبلني ويحبني يصير ابناً لابرهيم · وقد قال يوماً ان الله قادر ان يجعل من هذه الحجارة ابناء لابرهيم · فهو بهذا الكلام كان يقاوم كبرياء الانسان وفخاره بحسبه ونسبه ويدعو كل البشر الى دين مبني على مكارم الاخلاق لا على الحسب والنسب · لقد كان بهذا الكلام ينادي بحقوق الانسان ويعلن للبشر ديانة البشر لا ديانة اليهود خلاص البشر لا خلاص اليهود · فما ابعد هذا عما تقدمه · لقد وُضعت به اسس ديانة القلب والاخاء · لقد صار موسى نسياً منسياً · وقُضي على الهيكل بخراب لا مردّ له

الفصل الثالث عشر · يسوع والوثنيون والسامريون

فبناء على ذلك كان يسوع يحتقر كل شيء لم يكن له علاقة بايمان القلب · وقد كان عدواً لدوداً للظاهرات المادية التي يقوم بها بعض المتعبدين · وكان يفضل الصفح عن اهانة على الذبيحة · وكل شريعته محصورة في هذه الكلمات : محبة الله والاحسان والغفران او الصفح · وكان لا يعتبر الصلاة الا اذ كانت خارجة من القلب · وقد كان بعض من صغار العقول يظنون انهم يكرمونه بنداداته « ربي ربي » اي يا معلم يا معلم فكان

السيد يقول « ان هذا الشعب يكرمني بشفتيه ولكن قلبه بعيد عني » او « لماذا تدعونني يا رب يارب وانتم لا تفعلون ما اقوله »

وكان حفظ يوم السبت (اي ترك كل عمل في هذا اليوم) القاعدة الكبرى التي بُنيت عليها تقاليد الفريسيين واوهامهم . وكان الشعب يعتقد يومئذ ان الطبيعة نفسها (تسبت) اي تقف عن كل عمل في يوم السبت . ومن يعلم اذا كان «السبات» الذي معناه « النوم » في العربية غير ماخوذ من هذا الاصل . ومن اوهامهم في هذا الصدد ايضاً ان بعض الينابيع تقف عن الجري في يوم السبت . وقد نقل المؤرخ يوسيفوس هذه الرواية وسبب هذا الزعم ان تلك الينابيع كانت تجري وتقف في مواعيد جرياً مع العوامل الطبيعية وهي تُعرف اليوم « بالينابيع المنقطعة » اي التي تجري حيناً وتنقطع حيناً

اما يسوع فانه لنكاية الفريسيين واظهار اوهامهم كان لا يعبأ بيوم السبت . وكان يهزأ بما ياتونه من غسل واغتسال . فيقول لهم مثلاً « هل تقدرون ان تغسلوا انفسكم ايضاً ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان بل ان الذي يخرج من الفم هو الذي ينجس الانسان . او « ايها العميان الذين يقودون عميان احذروا السقوط في الحفرة » او « يا اولاد الافاعي كيف تقدرون ان تتكلموا بالصالحات وانتم اشرار . فانه من فضلة القلب يتكلم الفم »

وكما ان السيد كان لا يعبأ بحفظ السبت اظهاراً لاوهام الفريسيين فقد كان يجالس الوثنيين ويقبلهم ويثق بهم اكثر من ثقته باليهود انفسهم مع ان الفريسيين كانوا يبتعدون عنهم . وكانوا اذا لاموه لانه يعاشر الوثنيين اجابهم « اذا كان صاحب كرم مستاء من الذين استأجروا كرمه فماذا يصنع . لا ريب انه ياتي ويعطي الكرم الى آخرين » . وكان ايضاً يضرب الامثال بالسيد الذي دعا الناس الى العرس فلم يجيبوه فارسل عبيده يدعون الى عرسه الناس من قارعة الطريق . ومن اقواله ايضاً في هذا الشان « اقول لكم ان كثيرين سياتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابرهيم واسحق و يعقوب في ملكوت السماوات . واما بنو الملكوت (يعني ابناء اسرائيل) فيطرحون الى الظلمة الخارجية »

ومما لا شبهة فيه انه كان بين تلامذته كثيرون من الذين كان اليهود يسمونهم « هيلانيين » . وقد روى ذلك يوسيفوس . وكان اليهود يريدون بكلمة « هيلانيين » الوثنيين او اليهود الذين تعلموا اللغة اليونانية واقاموا بين اليونانيين او اليونانيين الذين

اعتنقوا الشريعة الاسرائيلية كما روى الانجيلي يوحنا (الاصحاح ١٢ العدد ٢٠) وربما كان كثيرون من تلامذة المسيح من العنصر الاخير

وكان يسوع يعامل السامريين كما كان يعامل اليونانيين . وقد كان اليهود يحتقرون السامريين لان هؤلاء كانوا لا يزالون يعتقدون بمذهب (غاريزيم) الذي كان مخالفاً لمذهب اورشليم . وكان اليهود يعتبرون السامريين كالوثنيين ويبغضونهم فوق بغضهم لهؤلاء . وكانت السامرة محصورة بين ولايتي اليهودية والجليل كانها نشأت لتكون مضغوطة بينهما . اما يسوع فاحياناً كان يوصي تلامذته ان لا يذهبوا الى السامرة لان السامريين كانوا لا يحسنون مقابلته لظنهم انه مثل باقي اليهود الذين كانوا يسيئون اليهم واحياناً كان يمرّ هو بنفسه في بلادهم ويحادث بعضهم وقد نشأ له عدة تلامذة منهم(يوحنا ص ٤ ع ٣٩) ومن ابلغ الامثال التي ضربها مثل في السامريين عن الرجل الذي عرّته اللصوص وجرحته على طريق اريحا . فقد مرّ به كاهن فرآه وذهب في سبيله ثم مرّ لاوي فرآه وذهب في سبيله ثم جاء سامريٌّ فبادر اليه وضمد جرحه واركبه على دابته الى الفندق . وبذلك كان السامري المحتقر المستهزأ به افضل من الكاهن واللاوي . وعلى هذا القياس يكون الاحسان قاعدة الاخاء بين البشر لا المذهب الديني

وكأنَّ هذه المبادىء كانت مالئة نفس يسوع حين عودته من اورشليم الى الجليل بعد المدة الطويلة التي صرفها فيها مع تلامذته . وكانت الطريق بين اورشليم والجليل تمتدُّ على بعد نصف ساعة من شيكم (نابلس اليوم) وكان حجاج اليهود يجتنبونها في عودتهم الى الجليل لانهم كانوا يكرهون مخالطة السامريين ومؤاكلتهم . ومن امثالهم في هذا الصدد « ان قطعة الخبز التي تاكلها من سامري هي قطعة من لحم خنزير » . ولذلك كان اليهود يتزودون الزاد قبل سفرهم من اورشليم للمرور في السامرة كما روى يوسيفوس . اما يسوع فانه كان لا يعبأ بهذه الاوهام فلما عاد من اورشليم الى الجليل ووصل قريباً من (نابلس) تعب فجلس يستريح على بئر هناك تُدعى بئر يعقوب وسار تلامذته الى المدينة لابتياع الزاد

وكان الوقت منتصف النهار والطبيعة ساكنة هادئة في تلك الاماكن الجميلة . واذ خرجت من المدينة امراة سامرية لتستقي من البئر . فخاطبها السيد وقال لها اعطيني ماء لاشرب . فدهشت السامرية لعلمها ان اليهود لا يطلبون شيئاً من السامريين ودخلت في الحديث معه فاعجبها حديثه ورأت انه نبي . واذ خشيت ان يبدأ بتعنيفها لانها تدين بدين السامريين لا اليهود سبقت وقالت له « ياسيد . اباؤنا عبدوا في هذا الجبل وانتم

تقولون ان العبادة في اورشليم » فاجابها يسوع « ايتها المرأة ، صدقيني انه قد حانت الساعة التي لا يُعبد فيها في هذا الجبل ولا في اورشليم بل ان العبادة الحقيقية تكون للآب في كل مكان بالحق والروح »

فهذه اول مرة لفظ بها السيد الكلمة الباهرة التي وضع بها الديانة الابدية . هذه اول مرة سمع بها العالم ان عبادة الله غير مقيدة بكاهن او وطن او زمان او مكان . هذه هي الديانة التي تدوم الى نهاية القرون والاجيال الآتية . واذا كان في الاجرام السماوية اجرام ماهولة واهلها على علم وادب فديانتهم لا تكون ارقى من هذه الديانة مهما بلغوا من الارتقاء الانساني . ذلك ان هذه الديانة هي ديانة الانسانية كلها . وقد كانت كلمة يسوع « عبادة الله بالحق والروح » كبرق عظيم خفق في ظلمة داجية . واذا كانت الانسانية قد تحولت عن هذه الكلمة وصارت تشتغل عنها بالاوهام والخطاء والضلال فانها مضطر الى العودة اليها لانها اساس كل ايمان ورجاء في هذا العالم »

(ستاتي البقية)

حقوق الانسان

﴿ لا يجوز ان يدوسها انسان ﴾

(ووجوب ان يبث المعلمون والاساتذة روحها في نفوس تلامذتهم)

للانسان ثلاثة ادوار . الدور الاول دور الفطرة وكان فيه الانسان على فطرته كما كان آدم وحواء في بدء حياتهما على ما جاء في الكتب الدينية . اي ان الانسان كان في هذا الدور لا يعرف خيراً ولا شراً بل كل همه مصروف الى المعيشة براحة وهناء في احضان الطبيعة امه ومصدر لحمه ودمه . والدور الثاني دور الوحشية وكان الانسان فيه كقبائل الاسكيمو او متوحشي افريقيا . اي ان قلة رزقه في الارض وما افضت اليه هذه القلة من التزاحم عليه وتداخل افراده بعضها بين بعض نقلته من حالة الفطرة الطيبة الى حالة الوحشية التي هي عبارة عن الاجتماع بلا ضابط ولا رابط غير القوة البدنيــة . والدور الثالث ائتلاف البشر عيالاً فقبائل فممالك « وتمدنهم » اي اتخاذهم المدن سكناً . ولا ريب ان الدور الاول احلى ادوار البشر واهنأها اذا كان ما وصفه به الواصفون صحيحاً . ومن اكبر هؤلاء الواصفين جان جاك روسو المشهور . ومما قاله في هذا الشان

انك اذا نظرتَ الى الطبيعة وجدتَ النظام مستتباً في كل عنصر من عناصرها ورايتَ كل شيء في موضعه منها · فالماء يجري سلسبيلاً والنسيم يهب بليلاً والارض تُخرج اثماراً وبقولاً والحيوان يرعى فيها ناعم البال طرب الروح مهللاً تهليلاً · اما القلق والاضطراب والخلل والعذاب والظلم والوهم والدناءة والفوضى فلستَ تجدها الا في الجمعية البشرية

هل نظرتَ في الطبيعة مخلوقاً يقعد وثلاثون او اربعون مليوناً من جنسه تسعى لخدمته

هل نظرتَ فيها مخلوقاً دنيئاً جباناً طاعاً يُولوه رئاسة لخدمة ابنائها فيتخذ رئاسته ذريعة لاشباع بطنه وارضاء طمعه واحتلاب رعيته دون ان يقوم بحق خدمته

هل شاهدتَ فيها مخلوقاً يُطعم كلابه اللحم المسمن مع ان رفاقه يموتون جوعاً · او مخلوقاً بليداً جاهلاً في صدر الهيئة مع ان العقلاء والفضلاء في عتبتها

هل شاهدتَ فيها ان الذين يسرقون و يمنون و يتسافهون ويخدعون يغتنون و ينجحون ويتنعمون خلافاً للذين يصدقون

كلا ان كل هذه الامور الشائنة لا تراها في الطبيعة لان الله سبحانه وتعالى وضع لها نظاماً تجري عليه ولا تقدر ان تخرج عنه · ولكنك تراها في الجمعية البشرية التي خرجت عن النظام الذي سنه الباري لها

فاعظم عمل يقوم به الشارعون وانفع ما يخدمون به الهيئة البشرية الحاضرة اعادتها الى النظام الالهي الذي وُضع للعالم منذ انشائه

وهذا النظام معدوم الآن في العالم من سوء حظ العالم وانما اصلح الممالك وافضلها هي التي تكون اشد قرباً منه من باقي اخواتها · على ان العالم سائر اليه من حسن الحظ سيراً حثيثاً وهذا معنى قولهم ان العالم يتدرج في مراقي الكمال شيئاً فشيئاً

ومن هذه « المراقي » التي رقت بالعالم درجة في سلم الكمال ما يسمونه « حقوق الانسان » وهي التي ذكرناها في الصفحة الاخيرة من ملزمة الرواية في هذا الجزء · وبيان حقيقتها بوجه الاجمال ان الحكومة الفرنسوية قبل سنة ١٧٨٩ كانت حكومة مطلقة لا رابط لها غير هوى الملك واستبداده · وكان الشعب محسوباً كبقرة حلوب يغذي دره نبلاء الامة والاكليروس والبلاط ومقربيه · وكانوا يسجنون الناس لعلة ولغير علة · وكانت الرشوة القاعدة الاولى في الاحكام · والحكام يمتصون دم الرعية كما يمتص العلق الدماء من الاجسام · وكان ابناء الشعب لا يجوز لهم ان يتعلموا في مدارس الحكومة بل لم يكن يجوز لهم ان يتعلموا لانهم انعام سائمة · وانما كانت وظيفتهم ان يدفعوا الضرائب لملء الخزانة

والذهاب الى الحروب كلما ساقهم الملك اليها . وكانت هذه الحالة عامة الدنيا كلها لا فرنسا وحدها . فلما شبت نار الثورة الفرنسوية واجتمع نواب الشعب لسياسة المملكة وضعوا سبع عشرة مادة واودعوها حقوق الانسان التي لا يجوز نقضها و بنوا عليها الدستور الفرنسوي منذ ذلك الحين . وقد راينا ان ننشرهنا هذه المواد السامية لتكون ذيلاً لما جاء في الصفحة الاخيرة من الرواية في هذا الجزء فان الفائدة لا تكمل الا بها . وهذا نصها

المادة الاولى

يولد الناس و يعيشون احرارًا متساوين في الحقوق . ولا يمتاز بعضهم عن بعض الا فيما يختص بالمصلحة العمومية (اي ان نفع الجمهور هو قاعدة الامتياز)

المادة الثانية

غرض كل اجتماع سياسي حفظ الحقوق الطبيعية التي للانسان والتي لا يجوز مسها . وهذه الحقوق هي : حق الملك وحق الامن وحق مقاومة الظلم والاستبداد

المادة الثالثة

الامة هي مصدر كل سلطة . وكل سلطة للافراد او لجمهور من الناس لا تكون صادرة عنها تكون سلطة فاسدة

المادة الرابعة

كل الناس احرار والحرية هي اباحة كل عمل لا يضر احدًا . و بناء عليه لا حد لحقوق الانسان الواحد غير حقوق الانسان الثاني . و وضع هذه الحدود منوط بالقانون دون سواه

المادة الخامسة

ليس للقانون حق في ان يحرّم شيئًا الا متى كان فيه ضرر للهيئة الاجتماعية . وكل ما لا يحرمه القانون يكون مباحًا فلا يجوز ان يُرغم الانسان به

المادة السادسة

ان القانون هو عبارة عن ارادة الجمهور . فلكل واحد من الجمهور ان يشترك في وضعه سواء كان ذلك الاشتراك بنفسه او بواسطة نائب عنه . ويجب ان يكون هذا القانون واحدًا للجميع . اي ان الجميع متساوون لديه . ولكل واحد منهم الحق في الوظائف والرتب بحسب استعداده ومقدرته ولا يجوز ان يُفضل رجل على رجل في هذا الصدد الا بفضيلته ومعارفه

المادة السابعة

لا يجوز القاء الشبهة على رجل ايًا كان ولا القبض عليه ولا سجنه الا في المسائل التي ينص عليها القانون وبموجب الطرق التي يذكرها · وكل من يغري اولي الامر بعمل جائر او كل موظف يعمل عملاً جائرًا لا ينص عليه القانون يعاقب لا محالة · ولكن كل رجل يُدعى او يُقبض عليه باسم القانون يجب عليه ان يخضع في الحال · واذا تمرد استحق العقاب

المادة الثامنة

لا يجوز ان يعاقب القانون الا العقاب اللازم الضروري · ولا يجوز ان يُعاقب احد الا بموجب نظام مسنون قبل الجرم ومعمول به قانونيًا قبله

المادة التاسعة

كل رجل يُحسب بريئًا الى ان يثبت ذنبه · واذا مست الحاجة الى القبض عليه فيجب ان يقبض عليه بلا شدة الا متى دعت الحاجة الى ذلك · وكل شدة غير ضرورية يعاقب صاحبها

المادة العاشرة

لا يجوز التعرض لاحد لما يبديه من الافكار حتى في المسائل الدينية على شرط ان تكون هذه الافكار غير مخلة بالامن العام

المادة الحادية عشرة

ان حرية نشر الافكار والآراء حق من حقوق كل انسان · فلكل انسان ان يتكلم ويكتب وينشر اراءه بحرية · ولكن عليه عهدة ما يكتبه في المسائل التي ينص القانون عليها

المادة الثانية عشرة

ان السهر على حقوق الناس يستوجب انشاء قوة عمومية اي هيئة حاكمة · فهذه الهيئة تنشأ اذًا لمنفعة الجميع

المادة الثالثة عشرة

بما ان الهيئة الحاكمة تحتاج الى نفقات لادارة الشؤون فيجب وضع ضريبة عمومية على جميع الوطنيين · اما مقدار هذه الضريبة فيجب ان يكون مناسبًا لحالة الذين يدفعونها

المادة الرابعة عشرة

لكل الوطنيين الحق في ان يراقبوا اموال الضريبة سواء كانت المراقبة بانفسهم او

بواسطة نوابهم . ولهم ايضاً البحث عن الوجوه التي تنفق فيها وتعيين مدة جبايتها

المادة الخامسة عشرة

للهيئة الحاكمة والمحكومة الحق في ان تسأل كل موظف عمومي عن ادارته واعماله وان تناقشه الحساب فيها

المادة السادسة عشرة

كل هيئة لا تكون فيها حقوق الافراد مضمونة ضمانة فعلية بواسطة السلطة العمومية ولا تكون فيها السلطة التشريعية (اي البرلمان) والسلطة التنفيذية (اي الحكومة) منفصلتين الواحدة عن الاخرى انفصالاً تاماً تكون هيئة غير دستورية

المادة السابعة عشرة

بما ان حق الامتلاك من الحقوق المقدسة التي لا تُنقض فلا يجوز نزع الملكية من احد الا اذا اقتضت المصلحة العمومية ذلك اقتضاء صريحاً وفي هذه الحالة يُعطى الذي تُنزع منه ملكيته تعويضاً كافياً » (١)

هذه ترجمة حقوق الانسان . وقد اقام المجمع الوطني وقتاً طويلاً يبحث في كل كلمة من كلماتها ويقلبها بطناً لظهر قبل الموافقة عليها . ولما وافق المجمع على هذه الحقوق قرر اذاعتها في جميع اقطار فرنسا فاقيمت حفلات عظيمة لقراءتها على الشعب فكان لها تاثير عظيم تقصر الاقلام عن وصفه . فان الشعب صار يبكي حين تلاوتها عليه وصار ابناؤه يتعانقون ويتصافحون ابتهاجاً بخلاصهم من ذلك الاسر القديم . وبعد حفلات القراءة اقيمت حفلات المآدب فحمل الشعب طعامه وشرابه وجلس في ابواب المنازل وعلى قارعة الطريق وفي الحدائق ياكل ويشرب في مادبة الطبيعة احتفالاً بذلك اليوم العظيم الذي اعلنت فيه الهيئة الاجتماعية ان ابناءها احرار واخوة متساوون . ومنذ ذلك الحين صارت هذه الحقوق اساساً للهيئة الاجتماعية في كل البلاد المتمدنة

ولما حدث الجدال الشديد في مجلس النواب الفرنسوي منذ عدة شهور بشان النظام الجديد الذي سنته الحكومة للرهبنات الفرنسوية طلب مقاومو هذا النظام من المجلس ان يقرر نشر « حقوق الانسان » على جدران المدارس لاعتبارهم انه مخالف لبعض بنودها . فيحسن بحضرات المعلمين والاساتذة ان يسطروا هذه البنود في صدور تلامذتهم ويفسروا

---

(١) هذه المواد تابعة للصفحة الاخيرة من الرواية في هذا الجزء

لهم كل عبارة وكل كلمة منها ليكونوا رجالاً عارفين بما لهم وما عليهم في الهيئة الاجتماعية بدلاً من ان يشبوا و يبلغوا الرجولية وهم باجسام الرجال وعقول الاولاد

محالفة الدولة العلية وفرنسا

﴿ منذ ٣٦٥ عاماً ﴾

الحروب الصليبية حروب سياسية لا دينية · عداء شارلكان وفرنسوى الاول · الجنود التركية سبب التساهل الديني مع البروتستانت في المانيا · محالفة فرنسا وتركيا على عدوهما المشترك · تركيا تحصر فينا · الاميرال خيرالدين باشا المشهور وغاراته · انشاء امارة الجزائر وطلبها حماية الدولة · نكوص اسطول البنادقة امام الاسطول العثماني · افتتاح الاسطول العثماني شواطئ ايطاليا لنصرة فرنسا

يجدر بنا بعد ما تم بين الباب العالي والحكومة الفرنسوية ان نأتي على طرف من الصداقة القديمة التي كانت بينهما في ايام الملك فرنسيس الاول والسلطان سليمان الثاني · ونحن نلخص تلك الحوادث بما امكن من الاختصار فنقول

كانت الدولة العلية العثمانية في ذلك الزمان في اوج العز والعظمة لان اوربا كانت في بدء ارتقائها · وكانت الحرب سجالاً بينها و بين الاوربيين · فهم كانوا يشنون الغارة عليها باسم الحروب الصليبية لاستخراج الاماكن المسيحية من يدها · وهي كانت تمعن في حدود روسيا وحدود النمسا فتحاً وتكتسح البلاد اكتساحاً

ومن الكتاب الاوربيين من يلوم اوربا على حروبها الصليبية لانها فتحت بها وادياً عميقاً بين المسيحية والاسلام ومنهم من يستحسنها · اما الذين يستحسنونها فانهم يعزون اليها الفضل في زيادة الاوربيين تمدناً وارتقاء لانهم بمخالطتهم العرب والاتراك في اثناء الحروب الصليبية اخذوا عنهم كثيراً من عوامل الارتقاء التي لم تكن لهم · ولقد ذهب الكاتب شاتو بريان المشهور في هذا الصدد مذهباً آخر · فقد كنا نتصفح في هذا الاسبوع كتابه « من باريز الى اورشليم » فوجدناه يقول ان الحروب الصليبية كانت ضرورة لا بدَّ منها · ولم يكن المقصود منها اثارت حرب دينية ولكن اثارة حرب سياسية · لانه بما ان العرب دخلوا الاندلس وفتحوا اسبانيا حتى مدينة ليون ومدينة بواتيه فقد كان يجب ان يذهب الافرنج و يردوا لهم الزيارة في بلادهم على سبيل مقابلة المثل بالمثل · والا سقط نفوذ

اوربا في العالم واجترأ العرب والاتراك على اكثر مما صنعوه

والذي يهمنا من هذا الراي ان اوربا كانت من قبل متحدة فيما بينها على الشرق حتى جاءها امبراطور عظيم كان يطمح الى اخضاعها ووضعها تحت نيره فخالفه بعضها وحالف عليه دولة الشرق العظمى . وهذا الامبراطور هو « شارلكان »

﴿ الامبراطور شارلكان ﴾ وكان هذا الامبراطور ابناً للملك فيليب الجميل ارشيدوق النمسا وقد ورث عرش اسبانيا من امه فكان ملكاً لاسبانيا وامبراطوراً لالمانيا والنمسا وايطاليا والبندقية وبلجيكا وسويسره وغيرها . اي انه كان ذا سلطة على اوربا كلها ما عدا فرنسا التي كانت يومئذ في ولاية الملك فرنسوى الاول وانكلترا التي كانت في ولاية الملك هنري الثامن . ولم يكن لهذا الامبراطور العظيم غير ثلاثة اعداء . اولهم الملك فرنسوى الاول الذي كان يأبى نيره ويطمع في امتلاك اجزاء من ايطاليا ولاسيما مقاطعة ميلان . والثاني سليمان الثاني سلطان الاتراك وكان يناوش النمسا ظافراً منصوراً . والثالث اصحاب المذهب الانجيلي الذين قاموا في المانيا على صوت لوثيروس للانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية

﴿ الملك فرنسوى ﴾ اما حروب فرنسوى الاول مع شارلكان فقد كانت شديدة وكانت الدائرة على الملك فرنسوى في اكثرها . وفي عام ١٨٢٥ وقع الملك فرنسوى اسيراً في بافيا فاستقدمه الامبراطور الى مدريد وبعد اخذ ورد كثير رضي باطلاق سراحه على شرط ان يتنازل له عن مقاطعة بورغونيا الفرنسوية ويترك ولديه رهناً لديه الى حين تسليمه المقاطعة . فاظهر الملك فرنسوى الرضى بذلك فاطلق الامبراطور سراحه . ولكن الملك لم ينجز وعده خدمةً لوطنه وافتدى ولديه بمليوني ذهب دفعها الى الامبراطور

وكان هنري الثامن ملك انكلترا والبابا ادريانوس الثاني ملك رومه حليفين للامبراطور شارلكان على خصمه فرنسوى الاول . فاخذ فرنسوى الاول يسعى في محالفة الامراء والملوك لمقابلة هذه المحالفة بمثلها . ولكنه كان لا يثق بالامراء التابعين او المسالمين للامبراطور لانهم كانوا كلهم في جانب القوي ولذلك اخذ يكاتب خصومه

﴿ محالفة تركيا وفرنسا ﴾ فكاتب فرنسوى الاول امراء المانيا الذين اعتنقوا المذهب الانجيلي . وكان الامبراطور شارلكان في حيرة من امره معهم . فانه اذا اجبرهم بالقوة على ترك المذهب الانجيلي والرجوع الى الكاثوليكية قاوموه فلم يستطع ان يحشد الجند من

بلادهم لانه كان في حاجة الى الجند . واذا تركهم وشانهم انفرط عقد الوحدة الدينية التي كان حريصاً عليها لاعتقاده ان القوة بها دون سواها . والرغبة في صيانة هذه الوحدة هي التي جعلت ملوك فرنسا بعد ذلك يمثلون بالبروتستنت في بلادهم ذلك التمثيل الشنيع افناء للمذهب الجديد

اما امراء المانيا البروتستانت فقد اجابوا الملك فرنسوى الاول الى محالفته وكاتبوا ملك انكلترا ايضاً لانه كان بروتستنتياً . وقد ألفوا فيما بينهم تحالفاً دعوه «تحالف سمالكلد» ولكن محالفة هؤلاء الامراء للملك فرنسوى لم تكن تقيه شر خصمه العنيد فعزم هذا الملك على محالفة تركيا

وكانت تركيا في حرب دائمة مع الامبراطور شارلكان وجنودها تكتسح هنغاريا شيئاً فشيئاً وكان على رومانيا ملك يُدعى فرديناند نصبه الامبراطور شارلكان ملكاً عليها . فكتب هذا الملك الى شارلكان يقول له ان البلاد النمساوية لا تستطيع الثبات في وجه الجنود التركية اذا لم يستتب الامن في الداخل ويكون البروتستانت معها لا عليها . فلما رأى شارلكان حاجته الى البروتستنت تساهل معهم وعدل عن اضطهادهم وبذلك تمكن من حشد جيش كثيف من المانيا لمقاومة السيل التركي الجارف . وفي عام ١٥٣٢ للميلاد بلغ شارلكان ان السلطان سليمان قد وصل بجنوده الى مدينة فينا وحصرها بثلاثمائة الف جندي . فطار صواب شارلكان لهذا الخبر الهائل لان فتح فينا ضربة عظيمة لسلطنته فجمع تسعين الفاً من المشاة و٣٠ الفاً من الفرسان فضلاً عن الجنود غير النظامية وزحف بها الى فينا لمقاتلة السلطان سليمان . ولكن السلطان سليمان اضطر الى الجلاء عن فينا بعد حصرها مدة لشواغل ومشاكل جدت في سلطنته . ولما عاد السلطان الى الاستانة بقيت في نفسه حسرة شديدة من خيبته تحت اسوار فينا ولبث يتربص الفرص للانتقام من شارلكان . وفيما هو يفكر في ذلك ورده اقتراح الملك فرنسوى الاول بمحالفته على عدوهما المشترك فرأى السلطان سليمان اغتنام تلك الفرصة

ومنذ هذا الحين عُقدت صلات الصداقة والوداد بين تركيا وفرنسا . فكان ملك فرنسوى يُرسل الوفود والهدايا الى السلطان سليمان والسلطان سليمان يرسل الوفود والهدايا اليه . ولا يزال الكتاب يتناقلون الى اليوم صورة كتابَ يقولون ان السلطان سليمان كتبه الى فرنسوى الاول وهو يدل على ان السلطان سليمان كان يعتبر الملك فرنسوى الاول احط منه شاناً لانه يخاطبه به كما يخاطب وزراءه . اما صك المحالفة الرسمي فقد وُقع عليه

في شهر فبراير من عام ١٥٣٦ على يد سفير فرنسا في الاستانة المسيو لافورست ولم يبقَ من هذه المحالفة اثر خطي . وقد مُنحت فرنسا في مقابلة هذه المحالفة حقوقاً ممتازة في بلاد تركيا كحرية التجارة والسفر وارسال المرسلين حتى ان السفن غير الفرنسوية كانت تتجر في موانئ الشرق تحت الراية الفرنسوية

ولكن هذه المحالفة اثارت سخطاً عظيماً في اوربا من الوجه الديني ومن الوجه السياسي. ولعل الوجه الاول كان ستاراً للثاني . فنادى حزب شارلكان ان فرنسا خانت اوربا بمحالفة الاتراك والبروتستانت . اما حزب فرنسوى الاول فانه اخذ يبرئ الملك من هذه الوصمة ويلقي تبعة ذلك الشقاق في اوربا على عاتق الامبراطور شارلكان . وقد القى اسقف البندقية خطبة بذلك الموضوع في مجلس حكومتها في عام ١٥٤٣

ولما استوثق الملك فرنسوى من محالفاته الجديدة ازداد جرأة وحمية . ففي ٦ يوليو من عام ١٥٣٣ امر دوق ميلان باعدام الوكيل الفرنسوي الذي لديه فثار الملك فرنسوى لهذا الخبر واعلن الحرب ولكن البابا بولس الثالث توسط بين الفريقين وعقد بينهما هدنة الى عشر سنوات فتصالح فرنسوى الاول وشارلكان. فساء ذلك السلطان سليمان لاسيما وانه سمع ان شارلكان يحدث نفسه بتجريد حملة صليبية على المشرق . غير ان شارلكان كان قد وعد فرنسوى الاول بمنحه اقليم ميلان ثم اخلف وعده فساء ذلك الملك فرنسوى . وفي عام ١٥٤٠ كان وفد مؤلف من رجلين فرنسويين يُدعيان رينكون وفريغوس عائدين من لدن السلطان سليمان الى الملك فرنسوى فقتلهما الناس في ميلان فاغتنم فرنسوى هذه الفرصة واعلن شارلكان بالحرب . وفي هذه الحرب امدّت الدولة التركية حليفها الملك فرنسوى الاول باسطول عظيم وقائد كبير وهو خير الدين باشا الاميرال العظيم الذي يلقبه الافرنج بَربروس اي ذا اللحية الشقرا . ولا باس ان ناتي هنا على طرف من ترجمته اتماماً للفائدة لان شهرة هذا الرجل طبقت الشرق والغرب وكان له ولاخيه اليد الطولى في انشاء امارة الجزائر

﴿ الاميرال خير الدين باشا ﴾ كان لخير الدين اخوان واحد يُدعي ارود والثاني ايشاك وقد اختلف في هذين الاسمين . وفي رواية ان اباهم نخار مسيحي وفي رواية اخرى انه مسلم . وقد ولد ارود في عام ١٤٧٣ ولما بلغ العشرين ركب سفينة تركية كانت تتجسس البحار لسلب السفن الاوربية وهو ما يسمونه القرصنة . وكانت القرصنة صناعة في تلك الايام وتجارة تغني اصحابها فان السفن التركية والبندقية والاوربية كانت تمخر عباب البحر

للسلب والاسر . وكان ارود جريئاً شديد النباهة والذكاء فامتاز عن رفاقه وقُدم عليهم . وفي ذات يوم التقت سفينته بسفينة اوربية فاسرتها السفينة الاوربية وساقتها الى جزيرة رودس . ولكن ارود استطاع الفرار من هذه الجزيرة فولي قيادة سفينتين مكافأةً له على ما بدا منه من الجرأة والمهارة فاخذ اخويه خير الدين وايشاك في سفينتيه وسار الى شواطىء تونس لان السفن المسيحية كانت كثيرة هناك . وكان قدومه الى تونس في عام ١٥٠٥

ولما وصل ال تونس اكرمه اميرها مولاي حسن وأذن له باتخاذ « جربه » مخزناً للبضائع والاسلاب التي كان يغنمها من السفن الاوربية . فاخذ ارود واخواه يشنان الغارة على صقلية وشواطىء البحر المتوسط حتى جمعا من النفائس والبضائع شيئاً كثيراً وشد ازرهم كثيرون من جُوال الآفاق وملتمسي الرزق فقويت عصبيتهم واشتدت سلطتهم . فلما راى ذلك اهل الجزائر طلبوا منهم ان يساعدوهم على طرد الاسبانيين من بلادهم . وكان الاسبانيون استولوا على اكثر شواطىء الجزائر وقد اعترف اميرتونس بسيادتهم على بلاده ليكتفي شرهم . فاجابهم ارود واخواه الى ذلك وهاجموا الاسبانيين في بوجيا فجرح ارود في هذه الواقعة فعاد الى تونس لمعالجة جرحه وعهد بقيادة سفنه الى اخيه خير الدين ففاجأ الاسطول الاسباني خير الدين وحطم سفنه كلها . فساء هذا الانكسار ارود وشرع في الحال في بناء اسطول جديد في جربه فاتمه في مدة قريبة وعاد الى غاراته وهو يفكر في طلب الثار من الاسبانيين . وفي هذا الزمن بلغت سلطته اشدها فتقاطر اليه ملتمسو الرزق في افريقيا من كل جانب حتى تالف منهم جيش كثيف وكلهم اقوياء اشداء . فقام في نفس الاخوة الثلاثة ان ينشئوا لانفسهم مملكة مستقلة فاظهروا في ذات يوم انهم يحاربون الاسبانيين وهاجموا امير الجزائر سليم بن تومي فقتلوه في حمامه ونادى ارود بنفسه اميراً للجزائر . فغضب اهل الجزائر لهذا الغدر والعدوان واستجاروا بالاسبانيين فامدهم الاسبانيون باسطول ولكن الزوابع حالت من حسن حظ الغاصب دون وصوله الى الشاطىء . وبعد ذلك فتح ارود تنس وطرد منها اميرها مولاي ابا عبدالله وفتح تلمسان بناء على طلب اهلها . فكبرت سطوة « الامير » ارود حينئذٍ ولكن الاسبانيين لم يمهلوه فارسلوا اليه جيشاً لطرده واعادة امارة تلمسان الى اميرها السابق فحصره الجيش الاسباني في تلمسان فحاول ارود الفرار منها الى بلد اخرى كان سلطان مراكش قد وعده بارسال مدد اليه فيها . فحال الاسبانيون بينه و بين الفرار فما زال يقاتلهم حتى قتل وسلاحه في

يده . وكان ذلك في عام ١٥١٨

فبعد مقتله ولي الجزائر اخوه خير الدين . والظاهر انه كان ادهى من اخيه وارشد سياسة فانه ما استقر في الامارة حتى كاتب السلطان سليم يعترف بسيادته ويساله حمايته في مقابلة جزية يقدمها له . فسر السلطان سليم بهذه المملكة الجديدة التي جاءته عفواً وامده بالفي جندي تركي فاطمان بال خير الدين حينئذٍ من جهة الاسبانيين وعكف على شن الغارة بسفنه فاسر في عام ١٥٢٩ اسطولاً اسبانياً برمته وفتح بعض الثغور القريبة منه وورد الاميرال اندريا دوريا العظيم عن بلاده فانتشرت شهرته انتشاراً واسعاً . فلما راى ذلك اهل الجزائر وكانوا ساخطين على اميرهم مولاي حسن لخضوعه للاسبانيين على الارجح طلبوا الانضمام الى لواء خير الدين فاجابهم خير الدين الى ذلك وكتب الى السلطان فامده السلطان بثمانية آلاف جندي لفتح تونس ففتحها خير الدين في عام ١٥٣٤ بلا حرب ولا قتال وتوافد عليه وفود التونسيين من كل المدن والقرى يهنئونه بهذا الفتح . اما امير تونس مولاي حسن فانه استنجد بشارلكان ملك الاسبان فجاء شارلكان بخيله ورجله لطرد خير الدين من تونس فاخلاها خير الدين بلا حرب كما اخذها بلا حرب وهاجم بسفنه الثغور الاسبانية فغنم منها غنيمة عظيمة ثم عاد الى الجزائر . وبعد ذلك سافر الى الاستانة لاقناع تركيا بوجوب ان تجرد حملة عظيمة لاسترداد تونس وكسر شوكة الاسبانيين

وكان السلطان سليمان قد بلغته شهرة خير الدين في البحر فاعجب به وببسالته ورام ابقاءه في خدمته فعينه (عام ١٥٣٦) قائداً عاماً للاساطيل العثمانية .

وكانت هذه الاساطيل اقوى اساطيل الدول في ذلك الزمان فرضي خير الدين بهذا المنصب العظيم لشغفه بحرب البحر فاقام ينظم الاساطيل العثمانية احسن تنظيم . ولما شبت نار الحرب بين الدولة العلية والبنادقة في عام ١٥٣٧ اشترك الامير خير الدين باشا فيها فابلى بلاء حسناً وكان مرجع الفضل في اجبار البنادقة على عقد الصلح اليه لاستيلائه على كاستلنوفو في دلماتيا وعلى كتارا في ملنوازيا . وقد لقيه اسطول البنادقة على شواطىء بريفيزا وهو بقيادة الاميرال اندريا دوريا الجنوي الكبير خصمه في الجزائر فنكص راجعاً ولم يقدم على لقاء خير الدين باشا فكان نكوص هذا الاسطول مع شهرة اميراله وقوة سفنه فخراً عظيماً لخير الدين باشا والاساطيل العثمانية .

وبعد هذه الحرب استراح خير الدين باشا مدة . وقد ابتاع هذه الراحة واستحقها بمجد عظيم كما تقدم . وما زال في راحته حتى شبت نار الحرب بين الملك فرنسوي الاول

والامبراطور شارلكان فامدّ السلطان سليمان حليفه فرنسوى الاول باسطوله واميراله العظيمين

﴿ الاسطول العثماني يفتح الاقطار الاوربية ﴾ خرج الاسطول العثماني من الدردنيل بقيادة قائده خير الدين باشا وسار لاسعاف فرنسوى الاول . فكان للبحرية هنا شان عظيم وربما كانت هذه الحادثة سبباً في تغيير وجه العالم . فان الامبراطور شارلكان كان عدوًّا للدولة التركية وللدولة الفرنسوية معاً فاذا انفرد بالدولة الاولى قدر عليها وكذلك اذا انفرد بالثانية فكان من الواجب اذًا ان لا تنفرد احدى هاتين الدولتين بخصمها العنيد بل ان تتحدا معاً لمحاربته في واقعة واحدة . وهذا امر كان متعذرًا في البرّ اذ بين فرنسا والدولة العلية سهول وجبال وممالك ضخام فلم يكن في الامكان اتحادهما الا في البحر . فكانّ البحر انقذ فرنسا والدولة العثمانية معاً . وكانت الدولة العثمانية اكثر اهتماماً بمصير هذه الحرب من فرنسا حليفتها واكثر رغبة في محالفتها . لانه اذا انكسرت فرنسا لم يستطع شارلكان ايقاع الاذى الشديد بها لان البابا ملك رومه كان لا ياذن بذلك ولم يحالف شارلكان الا في الظاهر . اما انكسار الدولة العثمانية فكان خطرًا شديدًا لها لان البابا ملك رومه كان يرغب في اغتنام اول فرصة لجمع كلمة الدول الاوربية عليها وابعاد فرنسا عن محالفتها ونصرتها . وقد طرح هذا الامر مرارًا على فرنسوى الاول فرفضه اولاً لمعرفته ان الخطر على بلاده كان في طمع شارلكان دون سواه

فقصد الاسطول العثماني ايطاليا اولاً لحصر شواطىء الكالابره ثم هاجم مملكة نابولي وفتح مدينة كايته فيها وبعد ذلك قصد فيللفرانش (في فرنسا اليوم) ففتحها وصار يخرب شواطىء ايطاليا . وفي هذا الحين كان السلطان سليمان قد دخل بجنوده الجرارة الى اراضي الامبراطورية الالمانية فكان يحارب شارلكان من البر بينما كان اسطوله يحاربه من البحر. فطار صواب شارلكان وسار لنجدة ايطاليا . وكان اسطول خير الدين باشا قد سار الى مرسيليا وهناك اتحد بالاسطول الفرنسوي الذي كان بقيادة الاميرال دانجيين وسارا معاً يقصدان مدينة نيس . وكان بحارة الاسطولين في اتم وفاق ووئام . فلما وصلا الى نيس حصراها وفتحاها عنوة بعد حصر شديد . ثم دخلت الجنود التركية مقاطعة بروفانسيا وصنعوا فيها ما يصنعه الفاتحون في البلاد التي يفتحونها . وقد اقاموا فيها مدة فصل الشتاء بلا حرب لان الشتاء كان باردًا جدًّا في ذلك العام

اما شارلكان فانه اغار على فرنسا لما عجز عن انقاذ ايطاليا وقد كانت غارته من جهة

شمبانيا بينما كان حليفه ملك انكلترا يغير عليها من جهة بيكارديا . ولكن برد ذلك الشتاء ومرضه وضعف جنوده مع قوة خصمه جعلته يؤثر الصلح على الحرب فصالح عدوه فرنسوى الاول في ١٧ سبتمبر من عام ١٥٤٤ على ان يعيد كل واحد منهما ما استولى عليه من املاك الآخر ويصافيه مصافاة حقيقية . وهكذا حفظ فرنسوى الاول استقلال مملكته وخرج من هذه الحروب الطويلة مع خصمه القوي خروجاً شريفاً . وكانت وفاته في عام ١٥٤٦ بعلة اختلفت اقوال الاطباء فيها

اما الاميرال خير الدين باشا فانه عاد الى الاستانة وهو اعظم شهرة مما كان يوم سفره منها . وفي عودته اليها عرج على جزيرة الب و بلاد سيينه في ايطاليا وجزائر ايشيا و بروسيدا وليباريا فخربها . وكانت وقائعها آخر وقائعه البحرية

ولما عاد الى الاستانة تنحى عن الاعمال وعاش براحة وطمانينة عيشة البذخ والترف وقد توفي وعمره ٦٦ عاماً فدفن في جوار جامع في الاستانة كان قد بناه على نفقته

هل في الدنيا سعادة

لحضرة المدموازل روزا انطون ناظرة مدرسة الاناث الاميركية بالابراهيمية — رمل الاسكندرية

السعادة رغيبة كل حي واليها يسعى كل بني البشر . وكم يعاني الناس من انواع المشاق في طلب النجاح متوهمين ان بلوغ السعادة بذلك ولكن السعادة لا ترافق النجاح في كل الاحيان وقلما نرى من بلغ السعادة بنجاحه وكثيرون نراهم تعساء مع ان لديهم كل الوسائل التي من شانها ان تجعلهم سعداء لو ارادوا

ان الطبيعة تمنح المجتهد القوي كل الاشياء انما لا تستطيع ان تمنحهُ السعادة فان لم يكن الانسان حاصلاً على السعادة الداخلية الناشئة عن القلب والقناعة فعبثاً يحاول بلوغها بالوسائط المادية

والدنيا رجلان . رجل يرى الدنيا جميلةً مملوءَةً سروراً وكلها معنى لهُ والثاني يراها مظلمة قاحلة وهمية . فالاول يكون سعيداً في كل الاحوال — اما الثاني فسواء عندهُ كل الاحوال وهو لا يرتئي اذا وُجد على الارض او في السماء

ويرجحون ان السرور حاسة خاصة بالانسان ويقال انَّ دارمي الحيوان لم يثبتوا الى الآن عدم وجود العقل في الحيوانات لكنهم قد اثبتوا عدم وجود حاسة السرور فيها لانها قد تنظر اجمل منظر ولا تتاثر لهُ · واما الانسان فحاصل على هذه الحاسة · وبما ان الله جعل فيه هذه الحاسة فقد جعل العالم مشحوناً بكل ما هو جميل وسارّ وجعل الطبيعة بامرها تعمل لسروره · فهي جميلة وهنيئة لطالبي الجمال والهناء · فعلى الانسان ان يقابلها بالرضى والبشاشة لتزيده منها · ولا يخفى ان الرضى والبشاشة بمثابة الشمس للنبات تحييه وتساعده لاعطاء الثمر الصالح · ولنا مثال ذلك الممرضة الشهيرة « فلورنس نيتنكال » التي كانت تخفف آلام المرضى ببشاشتها واظهارها السرور بخدمتهم اكثر مما كانت تخففهُ الادوية والعقاقير · فهي برضاها وبشاشتها كانت تخدم نفسها وغيرها معاً

ولكن قد يذهب البعض ان البشاشة في الانسان تدل على خفته وطياشته ولكن الواقع ينفي هذا الظن لاننا نرى ارقى العقول واسمى الافكار عند الرجل البشوش · ومهما كانت المصائب شديدة في هذه الحياة فان الانسان قادر على احتمالها اذا كان راضياً وباشاً · ولا يرجو الانسان السعادة باحراز المال والمناصب الرفيعة ما لم يُقرن ذلك بسلام الضمير وراحة القلب الداخلية وحب نفع الناس اي خدمة القريب وهذه العناصر اذا وجدت في اكواخ الفلاحين تجعلها جنائن سرور

يُروى عن احد ملوك الفرس انهُ سأل منجميه عن وسيلة يبلغ بها السعادة · فاجابوهُ ان الوسيلة الوحيدة لذلك هي لبس قميص رجل سعيد · فذهبوا يلتمسون ذلك الرجل بين الاغنياء والعظماء فلم يجدوه فطلبوهُ بين الفعلة والمساكين فوجدوا رجلاً فقيراً عائشاً في زاوية من الارض ولكنه سعيد (كالرجل الخارجي في الكوخ المندي) · ولكنه لسوء حظ الملك لم يكن لذلك المسكين قميص من شدة فاقته · فكم نرى من يتوهمون الملوك سعداء ان فخامة الملك وعظمته تستران عن الناس هموم الملوك · فتعابهم كانها اشواك تشتبك بتيجانهم فالناظرون اليها يبهر ابصارهم ما فيها من الحجارة الكريمة ولكن لابسي تلك التيجان يتألمون باشواكها الداخلية المستترة

وقد قال كنزلي « اذا اردنا ان نكون سعداء حقيقةً فنحن نحتاج للسلام الداخلي الناتج عن استقامة السريرة · والاعتدال في كل شؤون حياتنا في العواطف والاعمال والافكار »

وقال رسكن « جميعنا نسعى للنجاح واحراز الاموال ونصل الليل بالنهار لبلوغ الآمال ولكن من منا يسعى في طلب السلام الداخلي و يشعر بحاجته اليه · ذلك السلام الذي لا

يستطيع العالم ان ينزعهُ منا . اما طريقة الحصول على هـذا السلام فهي تعويدنا انفسنا على الافكار الجميلة النقية ونظرنا الى العالم من جهته المنيرة وقراءتنا تواريخ اشخاص هذه الصورة فتكون عدةً لنا عند النوازل »

وكتب الى صديق له في اثناء سياحته في سافوى . « لم القَ بين جميع اصدقائي رجلاً سعيدًا راضيًا بحياته اكثر من رجل كان يرافقني في سافوى ليدلني على الطريق ومع انه لم يكن على شيء من العلم فقد كان من اسعد البشر حالاً واحسن من عرفت منهم خلقًا . وفي ذات يوم كنت اتمشى واياه في بعض الوديان المنخفضة فاخذت اشكو لهُ هموم الحياة واظهر لهُ العالم من جهته المظلمة فلم يكن منهُ الا انهُ تراجع قليلاً عني وقال لغلامي وهو يهزّ اكتافه . مسكين رسكن مسكين فانه لا يعرف كيف ينبغي ان يعيش » وفي الحقيقة ان الذين يعلمون كيف ينبغي ان يعيشوا قليلون ولا يجد السعادة الا هؤلاء القليلون . فان الحياة من الفنون الدقيقة لا نتعلمها الا بالممارسة الطويلة والدليل على ذلك ان رسكن ادرك سر الحياة مع انهُ كان لا يكاد يحسن القراءة والكتابة

ويُروى عن فيلسوف انهُ نزل مرة في زورق واخذ يحادث الملاح والزورق سائر في السكون . فلم يمضِ الا وقت قليل حتى هبت الرياح وعلت الامواج فلم يبالِ الفيلسوف بل استمر في حديثه واخذ يسأل الملاح اذا كان له معرفة بعلم الكون فاجابهُ الملاح كلاَّ . فقال لهُ اذًا قد خسرت نصف حياتك ايهـا الرجل . ثم ازدادت الريح عصفًا ورفعت الامواج الزورق وقرب منهم الخطر . فقال الملاح اسمح لي ان اسأَلك ياسيدي الفيلسوف اذا كنت تحسن السباحة . فقال لا . فقال الملاح لا تؤاخذني اذا قلت لك انك قد خسرت كل حياتك لان الزورق سيغرق بنا

فالسعادة اذًا هي معرفة الانسان كيف يجب ان يعيش في هذه الحياة . فاذا جاءته السراء مرَّ بها مرورًا معتدلاً واذا جاءته الضراء لم يتالم منها الا تالمـًا معتدلاً . فان السراء تذهب كالضراء وكلتاهما كغيمة تمرُّ فوق راس الانسان . وليس المهم في هذه الحياة ان يتمتع الانسان بالسراء ويدفع الضراء ولكن المهم ان يقوم بواجباته بالرغم عن كل سراء وضراء . لانه لمثل هذا وُجد . وواجبات الانسان النفع وصنع الخير في هذه الحياة سواء كان كبيرًا اوصغيرًا غنيًا او فقيرًا . وبناءً عليه فكل انسان قادر على ان يكون سعيدًا مستريح البال لان كل انسان قادر على القيام بواجباته اذا اراد . واذا كان للسعادة مفتاح فمفتاحها « الصحة والضمير » الضمير الذي يجعل الانسان مستريحًا هنيئًا حتى في وسط

الاحزان والصحة التي تمكن الانسان من احتمال اعباء الحياة . واذا كانت صحتك جيدة وضميرك مستريحًا لانك قمت بكل ما يجب عليك لنفسك ولغيرك فانت سعيد من غير شك . واذا اضيفت الثروة الى ذلك تمت سعادتك لا محالة . فالثروة اذًا جزء من السعادة وليست كل السعادة

وخير ما يختم به الكلام في هذا الموضوع كلمتان من كلمات الحكمة الاولى لمونتسكيو وهي :

« لو كان الانسان لا يطلب الا السعادة لكان ذلك امرًا سهلاً لان كل انسان قادر على ان يكون سعيدًا . ولكن الانسان يطلب ان يكون اكثر سعادة من سواه وهنا الصعوبة » والثانية لهلفت وهي : « كن متحققًا ان الرجل الذي يخدم غيره ويجعله سعيدًا لا يمكن ان يكون تعيسًا »

الناصرة وطن يسوع

﴿ بقلم ناصري ﴾

تمنينا في الجزء الماضي ان يتحفنا احد القراء « الناصريين » بوصف الناصرة تتمة لكلام رنان عنها فوردنا من جناب الكاتب الاديب سليم افندي قبعين وكيل جريدة المؤيد العام في الولايات العثمانية من قبلُ الفصل التالي فنشرناه مع الشكر لحضرته

قبل ان نخط حرفًا من موضوعنا نقدم مزيد الشكر لحضرة الفيلسوف الطائر الصيت رنان الذي وصف اهل الناصرة وصفًا نعده له من قبيل المجاملة وكرم الاخلاق وكذلك نقدم عاطر الثناء ووافر الامتنان لحضرة الفاضل صاحب مجلة الجامعة الذي اخرج تلك الاقوال الى اللغة العربية شأنه في كتابة المقالات المفيدة التي تبثُّ روحًا جديدًا في ابناء الشرق فتثقف ألباب النبت الجديد وتدمث اخلاقهم وتنشر فيهم حياة جديدة ترقى بهم الى اسمى قمم الكمال الادبي فتطمح نفوسهم اذ ذاك الى الجنوح لحياة جديدة غير العيشة الحاضرة التي لا نخوض عباب وصفها . ونحن لا نقصد في هذه العجالة تقريظ مجلة الجامعة فقد كفاها تقريظًا وفخرًا رضاء الناطقين بالضاد عنها في سائر اقطار الارض واقبالهم عليها وامتثالاً لاشارة منشىء الجامعة ننشر هذه المقالة عن مدينتنا الناصرة فنقول

الناصرة مدينة مبنية في وادٍ من اجمل اودية سوريا نضارةً وخصباً وتحيطها الجبال من جميع جهاتها ٠ وهواؤُها في الجبال جيد جداً لولا ان فيه بعض الرطوبة التي تحدث من سقوط الندى الغزير في فصل الصيف وهي واقعة على مسافة خمس ساعات من مدينة حيفا وتتصل بها بطريق شوسه جميل جداً لولا تهدمه في بعض المواقع وتسير العربات كل يوم بينهما بكثرة ٠ والربيع عندنا في غاية الجمال اذ به تكتسي الجبال نضارة يعجز يراعي عن وصفها وهي ليست ببعيدة المسافة لان المدينة قائمة في سفحها فهي لها كالسور فضلاً عما تكسبها من الرونق الذي يسر الناظر ويروق الخاطر

واما ابنيتها اليوم فهي في غاية الاتساق والمتانة وكلها حجرية وحجرها ناصع البياض كالثلج واكثر سقوفها قرميدية والقادم اليها عند ما يدنو من مدخلها يشاهد منظراً بديعاً فانه يكون على راس جبل ويشاهد تلك الابنية البيضاء يكللها القرميد الاحمر فيخال له انه يرى ديوكاً بيضاء تتماوج على رؤُوسها اعرافها الحمراء المخملية

وفي فصل الربيع يتقاطر السياح الى الناصرة من سائر اقطار الارض لزيارة اماكنها المقدسة وتعهد آثارها القديمة فيضربون خيامهم في ظاهر البلدة على رؤُوس تلك الآكام الغناء ليتمتعوا بتلك المناظر الجميلة التي خصَّ الله بهما هذه المدينة فتزدحم حولهم اقدام صغار الاولاد يقدمون لهم باقات الازهار البرية العطرة التي تنمو بكثرة في تلك الربوع الفيحاء ٠ واي شيء احب للسائح من ان يضع مقعده مع زوجته ورفاقه امام الخيمة على بساط حلته الطبيعية بانواع الزينة وكلما هبَّ نسيم الربيع يهزُّ سوق الازهار فتنبعث منها رائحة تشرح الصدر وتنعش الفؤاد ٠ والسياح يلاقون من لطف الاهالي وكرم اخلاقهم ما يحبب اليهم الاقامة زيادة عما قرروه في بروجرام سفرهم ٠ ولا نزيد هنا في الكلام وكفانا رنان شاهداً على ذلك ٠ واما فصل الصيف فلا يقل جمالاً عن فصل الربيع ففيه الهواء لطيف منعش والجنائن تكون في غاية النضارة والكروم والبساتين تقدم للاهالي انواع العنب اللذيذ وسائر الفواكه المختلفة ٠ والماء بارد لا يحتاج الى ثلج او جليد والندى يسقط في هذا الفصل بغزارة فيلطف الهواء

اما شوارع المدينة فهي في غاية النظافة وكلها مبلطة تبليطاً متقناً ولكنها ضيقة وغير متسقة وكثيرة المنحنيات ٠ وقد انقلبت المدينة عن زمان رنان انقلاباً عظيماً ولو زارها الآن لاستغرب تقدمها ففيها كما قدمنا الدور الفخيمة المفروشة بالرياش الفاخرة وعدة من وجوهها اقتنوا المركبات الخاصة وغير ذلك مما يطول شرحه

اما منزل يوسف ومريم فلا يزال موجوداً فيها للآن وهو مؤلف من مغارة كبيرة منقورة في الصخر وداخلها مغارة اخرى للطبخ وفي احدى زواياها مدخنة لخروج الدخان منحوتة نحتاً محكماً . وقد اقام رهبان الفرنسيسكان على البيت كنيسة عظيمة لم ارَ مثلها في سوريا ومصر وبجوارها دير عظيم يقيم فيه اكثر من ٤٠ راهباً . وكذلك لا يزال في الناصرة المكان الذي كان يتعاطى فيه يوسف النجارة مع الفتى يسوع وقد اقام عليه الرهبان المذكورون كنيسة صغيرة . واما العين التي قال عنها رنان انها كانت مركز الحركة فهذه كانت في القديم تجري من داخل مغارة حيث كانت مريم العذراء تذهب مع العذارى لاستقاء الماء وقد اقامت الطائفة الارثوذكسية العربية عليها كنيسة وجرّت المياه الى خارجها بقناة تحت الارض وتعرف هذه الكنيسة بالبشارة لانهم يعتقدون بان الملاك بشر مريم العذراء فيها . والسياح يقبلون على زيارة هذه العين فيشربون من مائها و ياخذون رسمها بالفوتوغراف والبنات يستقين الماء . وسنجتهد بالحصول على رسم لها وارساله لادارة الجامعة. ولا يزال في الناصرة مجمع اليهود الذي دخله يسوع يوم السبت وصعد الى المنبر فدفع اليه سفر اشعيا النبي وقرأ فيه نبوءة ذلك النبي عنه وبعدان اتمّ تلاوة الفصل قال اسامعيه ان هذه النبوءة قد تمت الآن فيّ . فاغتاظ رجال اليهود واخذوه الى راس جبل كانت المدينة مبنية في اسفله ليطرحوه عنه . وقد اقامت طائفة الروم الكاثوليك كنيسة على المجمع . واما الجبل الذي اراد اليهود ان يطرحوا السيد يسوع عنه فقد اقامت عليه محسنة روسية تقية معبداً سلمته الى اخوية القبر المقدس

اما مناظر المدينة عن قمم تلك الجبال المحيطة بها فقد كفانا رنان ذكرها لانه وصفها احسن وصف وانما قد تم متمنى رنان فقد اقامت رهبنة ابي اليتامى كنيسة جميلة على راس احدى الآكام المشرفة على البر الفسيح والبحر المتوسط وانشأت بجوارها مدرسة داخلية للصبيان مجانية . وفي الناصرة عدة مدارس داخلية واشهرها المدرسة التي انشأتها الجمعية الامبراطورية الفلسطينية للصبيان عام ١٨٨٦ ومدرسة داخلية للاناث انشأها المرسلون الانكليز واخرى مثلها انشأها الفرنسويون واما المدارس اليومية فانها كثيرة العدد جداً وقد زادت عن احتياج الاهالي . ورأيي الخاص ان تلك المدارس لا تنفع المدينة والاهالي نفعاً حقيقياً ولو اردت ذكر الاضرار التي تنجم عنها لرشقني الناس بالسنة حداد

والناصرة خالية من اليهود و يبلغ عدد سكانها الآن نحو عشرة آلاف نفس . ومن

اشهر الابنية فيها دار الضيوف التي انشأها منذ اعوام رهبان اللاتين وعمارة الجمعية الامبراطورية الفلسطينية الروسية التي بناؤها قائم الآن على ساق وقدم وقيل ان الجمعية ستنفق عليها ثلاثين الف جنيه . وقد زار الناصرة عدة ملوك وامراء اذكر منهم نابوليون بونا بارت الذي نزل ضيفاً في دير اللاتين ونام فيه ليلتين ويُقال انه اقفل باب الغرفة التي نام فيها ولم يُفتح الى يومنا هذا . وقد زارها ايضاً المرحوم ابراهيم باشا نجل المغفور له محمد علي باشا جد الاسرة الخديوية وليوبلد الثاني امبراطور البرازيل والبرنس هنري دورليان وخطيبته وملك ايطاليا الحالي لما كان ولياً للعهد والغراندوقان سرجيوس وبولص عما جلالة القيصر نقولا والغراندوق نقولا الروسي وميلان ملك السرب ومدحت باشا الشهير وغيرهم . هذا ما رايت كتابته الآن في وصف الناصرة وربما عدت الى الكلام عنها والسلام

الناصرة في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠١

﴿ سليم قبعين ﴾

آثار الشرق القديمة

الهيئة الاجتماعية في مصر

﴿ في عهد الرومانيين ﴾

(وبعض رسائل مصرية)

لا يزال علماء اوروبا يبحثون في آثار مصر ويطلبون اوراق البابيرس المصري في كل مكان ليقرأُوا فيها اخبار التمدن المصري القديم . وقد تلا في الشهر الماضي المسيو رنه كانيات احد علماء فرنسا خطبة في المجمع العلمي الفرنسوي موضوعها الهيئة الاجتماعية في مصر في عهد الرومانيين اي في القرن الثالث للميلاد وقد ذكر فيها ترجمة كثير من اوراق البابيرس التي وجدت في مصر واكثرها رسائل بين الاهل والاقارب يستدلُّ بها على نظام المعيشة في ذلك الزمن . وقد قال المسيو كانيات عن اوراق البابيرس انه اذا عثر الباحثون في آثار مصر على منزل اديب او كاهن مصري عثروا فيه على بقايا مكتبة فيها شذرات لا تُحصى من

مؤلفات هوميروس واشيل وارسطو وبكشيليد والشاعرة سافو التي ذكرنا ترجمتها في هذا الجزء . واذا عثروا على منزل موظف من موظفي مصر القدماء وجدوا فيه كثيراً من الاوراق الرسمية كاوامر الامبراطرة الرومانيين ونظامات الحكومة المحلية وعرائض الاهالي وشكاويهم وشرح قضاياهم وكلها باللغة اليونانية الا ما ندر لان اللغة اليونانية كانت اللغة الشائعة في مصر في ذلك الزمن . واذا عثروا على منزل احد من السكان وجدوا فيه ما لا يحصى من الاوراق المملوءة بالارقام ورسائل خصوصية تدل على حالة الحكومة يومئذٍ وعلائقها بالسكان ونظام الجيش وجباية الضرائب وما اشبه ذلك. وقد قرأ المسيو كانيات في خطبته بعض هذه الاوراق التي عثر عليها . منها كتاب كتبته « سيره » ابنة « ثيون » الى هيراكليدس قاضي القضاة والكاهن الكبير في مصر نقص عليه قصة زواجها واساءة زوجها اليها . وقد قالت في هذا الكتاب « لقد تزوجت بسرابيون واعطيته ٢٠٠ دراخمة دوطة وقبلته في بيت ابي لانه كان لا يملك شيئاً وان كنتُ قد اخطأتُ في ذلك. ولكن سرابيون بعد ان اخذ من دوطتي ما اخذ وبعد ان اهانني وضربني ومنع عني القوت الضروري هجرني وتركني في اسوأ حال . فارجو منك ان تستقدمهُ وتضطرهُ ان يعيد دوطتي اليَّ بزيادة مثل نصفها عليها . هذا بقطع النظر عن باقي الشكاوي التي يمكنني ان ارفعها عليه متى اردتُ »

ومنها كتاب من شيخ في الفيوم كان جندياً واحيل على المعاش الى ابنه وابناء اخيه يطلب منهم ان يبتاعوا عشرة ديوك وفواكه وارادباً من الدقيق الجيد للاحتفال بتذكار مولد ابنته جماله .

ومنها كتاب آخر من غلام الى ابيه يلومه فيه لانه سافر الى الاسكندرية ولم يأخذه معه . فقال « من ثيون الى ابيه ثيون سلام . هل تظن انك صنعتَ حسناً بعدم اخذك اياي معك الى المدينة . فاذا كنت لا تريد اخذي الى الاسكندرية فانا لا اكتب اليك بعد الآن ولا امد يدي لمصافحتك ولا اسلم عليك . هذا ما يصير اذا كنتَ لا تاخذني معك . لقد احسنتَ صنعاً بارسالك اليَّ هدية في اليوم الثاني عشر من سفرك . فانا ارجوك ان ترسل لي عوداً (للموسيقى) واذا لم ترسله فانني لا آكل ولا اشرب . دم بصحة جيدة »

وقد قرأ المسيو كانيات كثيراً من هذه الرسائل ثم استنتج منها ان الامبراطورية الرومانية كانت تصبغ مستعمراتها بصبغتها دون ان تؤثر هذه الصبغة في حالة تلك المستعمرات

ولذلك كانت كل واحدة منها مستقلة عنها في احكامها وعاداتها واخلاقها ولغتها . فلما سقطت الامبراطورية الرومانية كانت كل واحدة من مستعمراتها قادرة على الاستقلال بنفسها

على ان هذا الراي ليس بجديد فقد رأى رنان مثله في كتابه « الرسل » منذ اعوام كثيرة

هل وصل التمدن المصري

﴿ الى باقي شواطىء افريقيا ﴾

(اكتشاف جديد)

ان الجواب عن هذا السؤال من اصعب الامور . فانه من الثابت ان قدماء المصريين وصلوا الى شواطىء افريقيا القريبة ولكن هل وصلوا الى شواطئها البعيدة كشواطىء الكاب وشاطىء العاج في جانب افريقيا الغربي على شواطىء الاوقيانوس الاتلانتيكي

يظهر ان بعض الباحثين قد اهتدوا الى حل لهذه المسالة . فان حكومة « شاطىء العاج » احدى المستعمرات الفرنسوية عرضت في قسمها في معرض باريز في العام الماضي اثاراً كثيرة من آثارها وهي شبيهة بالآثار المصرية . وفي جملة هذه الآثار وجه تمثال شبيه بالوجوه المصرية التي كان صناع مصر ينقشونها حتى في شكلها ولباسها وتمثال شبيه بتمثال الاله « بتا » اله منفيس . ومعلوم ان سكان شاطىء العاج من اصل زنجي فمن المحال ان يكونوا والمصريون من اصل واحد . بقي اذاً ان التمدن المصري انتقل اليهم . ولكن كيف كان انتقاله

لا يخفى ان كهان ثيبة انشأوا في الحبشة بعد فتح ملوكهم اياها اي بعد رعمسيس الثالث مملكة كادت تكون عاصمة مصر كلها ودعوها « مملكة نبطه » فكان ذلك سبباً في اقتباس الاحباش عادات المصريين وفنونهم . وبعد ذلك حدثت مهاجرة من نواحي الحبشة واعالي النيل الى شواطىء الاتلانتيكي . والبعض يقولون ان المهاجرين كانوا قبائل من الهيكسوس (رعاة مصر) والاحباش والبعض يقولون بل كانوا من قبائل التوارج والبهليين فيردُّ بعضهم على هؤلاء بقوله ان قبائل وحشية كالتوارج والبهليين لا تستطيع اقتباس فنون مصر الجميلة . وهناك فئة ثالثة ترى ان قبائل اخرى كانت ذات صلات بالحبشة وقبائل اعالي النيل من جهة وبقبائل الموهاس من جهة اخرى . فنقلت تمدن المصريين من الاحباش الى الموهاس

وهئولاء نقلوه الى اجداد قبائل الاشانتي والداهومه وبذلك وصل التمدن المصري من شاطيء البحر المتوسط في مصر الى شاطيء الاتلانتيكي في شاطي، العاج.

وقد اكد السائح فليكس ديبوى انه شاهد في تمبوكتو وشواطيء بحيرة تشاد كثيرًا من الآثار الشبيهة بالآثار المصرية شبهًا ما وراءه ارتياب

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة

واجبات المعلم ولذة التعليم

قال السر والتر سكوت لا بد لكثيرين ان يكونوا قد شاهدوا بسرور انصراف التلامذة من المدرسة في مساء ايام الصيف الجميلة. فان نفس الولد الصغير التي لا تستطيع السكون تبقى كل النهار راضخة تحت عبء النظام المدرسي وحين الانصراف تنفلت منه فيظهر سرورها باللعب والصراخ والضجة . ولكن مخلوقًا غير التلامذة يتنفس الصعداء في تلك الساعة ايضًا ويكون ارغب من التلامذة في الانصراف واعني به ذلك المسكين الذي يكون قد قضى النهار بطوله يحارب جيشًا عظيمًا من الاولاد فيدوخه صراخهم ويضنك جسمه حفظ النظام ومعاقبة المذنبين وتنوير اذهان البلداء واستماع دروسهم التي لا لذة فيها ولا سرور .واذا كانت لذيذة فان اعادتها على سمعه المرة بعد الاخرى بدون تغيير ولا ابدال تكفي لان تجلب له السآمة والضجر»

هذا ظن ذلك الكاتب المشهور في عيشة المعلم . فمن من القراء يرى هذه الصوره ولا يكره التعليم ويهزأ قائلاً : ان كانت هذه حالة المعلمين فمن العبث ان نتكلم لنا عن لذة التعليم . ولكن ما لنا ووصف السر والتر سكوت فان في التعليم لذة عظمى للذين يعرفونها وفي المدرسة اسباب للهناء والسرور كما في غيرها من اماكن العمل والشغل هذا اذا كان

التعليم طبقاً لبعض الشروط وهاك بعض هذه الشروط

اولاً مقدرة المعلم على الحكم بين تلامذته بالسلطة الادبية لا بالعصا والقوة الجبرية · نعم ان للمدارس قوانين لا بد من العمل بموجبها ولكن لا يسهى عن بال المعلمين ان الاحداث يعقلون ويميزون وتؤثر فيهم العواطف والاحساسات كما تؤثر في البالغين · وعليه فاصرار المعلم على الحكم بالقوة الجبرية الوحشية لا يُنتج له غير كره التلامذة الدائم واتخاذهم اياه عدواً يُحذر منه · ولا نقدر ان ننكر ان كل مخلوق يحب اظهار السلطة والقوة ولكن ما احسن ان تكون تلك القوة القوة الادبية او قوة « التاثير والقدوه » التي يتضاعف بواسطتها لذة العامل بها كلما ازداد عدد المنقادين لسلطته والمقتدين به · وقد قال احد مشاهير الانكليز « ان القوة الادبية هي التي تدير الآن حكومات العالم المتمدن باجمعها اما القوة الجبرية فقلما نفيدهم في تنفيذ احكامهم · وكفى القوة الادبية انها تقود الجمهور طوعاً لمساعدة الحاكم في نشر الفضيلة والتمدن » · وقال اللورد منسفيلد في خطاب القاه في مجلس الاشراف « ان القساوة ياسادتي لا نقدر ان نحكم بها لا كبار امتنا ولا صغارهم » والمعلم البارع يجد لذة تفوق الوصف في استرضاء جميع تلامذته وسوقهم طوعاً للعمل باوامره متحاشياً اغاظتهم والوقوف سداً في وجه سرورهم الطبيعي الذي تنبسط له كل نفس بشرية · هذا ما نعني بالسلطة الادبية — اي تاثير المرء على غيره بافعاله الحسنة او نصحه الجميل

اما ثاني الشروط فهي مجازاة التلامذة بالجوائز وغيرها مما يفرح قلوبهم ويجعلهم اكثر اجتهاداً وغيرة وما احلى ما قيل « ان الذي يفرح قلب الحدث ولو برهة من الوقت يشتغل مع الله » · والمعلم ملك يحكم في تلك المملكة الصغيره فيجازي المجتهد وتكون تلك المجازاة محركاً للاخرين فتدب فيهم روح الاجتهاد وتصبح المدرسة بعد امد قصير محلاً يُسرُّ فيه المعلم والمتعلم · ذاك بنجاح مساعيه واثمار غرسه وهذا لما يحصله جزاء لاجتهاده

ومن اسباب سرور المعلم امله في مستقبل الوطن الذي يدرس اولاده لان نجاح ذلك الوطن الادبي والمادي متوقف على همة شبانه وقد صدق من قال « ارني شبان اي امة اركَ مقامها في المجتمع الانساني » والوزير الانكليزي حيث قال « ان شبان الامة هم المتكفلون بنجاحها وليس تاريخ الامة الا تاريخ شبانها » ومما يحكى عن شارلمان انه عاد مرة من احدى غزواته وذهب لزياره مدرسة كان قد اسسها بنفسه فبعد ما امتحن الاحداث في حضرته اوقف الناجحين منهم عن يمينه (وكان اكثرهم من اولاد الفقراء) وخاطبهم قائلاً « عليكم ايها الاولاد سابني مستقبل مملكتي ونجاحها فانتم ستكونون وزرائي واعواني

ومشيري » ثم نظر الى الكسالى وكانوا من اولاد النبلاء وتنبأ لهم بسوء المستقبل . فمن يقدر ان يتصور سرور المعلم الذي يرى التقدم والنجاح في امته ويعلم انه من اهم عوامل ذلك التقدم والنجاح . وهب ان ذلك التقدم كان آجلاً فان فيه لذة الامل في النجاح وهذه تقارب لذة النجاح الفعلية

ومن شروط اللذة في التعليم ان يكون المعلم عارفاً بما يلقيه من الدروس ومستعداً له فيجب عليه اذاً قبل ان يلقي الدروس على تلاميذه ان يدرسها درساً مدققاً ويزيدها اسهاباً وبياناً ولا يقتصر على الكتاب الذي يدرسه بل يلزمه ان يطالع غيره من الكتب التي تحيط بالموضوع . وهنا لذة عظمى - لذة الاطلاع على اشياء جديدة لم يكن يعرفها قبلاً . اما كون المعلم مكلفاً بالاجابة عن كل سؤال يُطارح عليه فذلك خطاء بيّن لان معرفة كل انسان محدودة . وقد اخبر احد اساتذة غلاسكو عن الدكتور ريد الذي كان يوماً استاذ الفلسفة الادبية في تلك الجامعة وهو من اشهر فلاسفة الانكليز انه بينما كان يوماً يمتحن تلامذته في كتاب « شيشرون دي فينيبوس » وقف احدهم عند جملة لم يتمكن من فهمها فعرضها على الاستاذ ليفسرها له فتوقف الدكتور ريد برهة ثم قال « كنتُ لاظن نفسي عارفاً معنى هذه الجملة ولكن خالف الواقع ظني وعليه اكون مسروراً ممن يفسرها لي » فقام احد تلامذته وفسرها فشكره الاستاذ واثنى على معرفته وصار هذا الحادث واسطة لزيادة تبحر التلامذة في ذلك الفرع لكي يتكرر الحادث ويشكرهم الاستاذ

اما صفات المعلم فمنها انه يجب ان يكون حكيماً عاقلاً عارفاً حق المعرفة بالقوانين الصحية لان علمه وحده لا يكفي لانشاء رجال المستقبل . وعليه ايضاً ان يوقف كل قواه لاتمام واجباته اي يجب عليه ان يكون هماماً لا يغفل ومثابراً لا يتعب . ومن لم يكن متحلياً بهذه الصفات ودخل في سلك التعليم فانذره بان حالته ستكون كما وصفها السر ولتر سكوت او كما قال فيهم فنيلون « ينظرون الى صعوبات التعليم فيبالغون في تعدادها ووصفها ولا ينظرون الى فوائدها الجمة وسلطتها العظيمة فيشكرون هذه النعمة التي حصلوا عليها »

﴿ الياس خليل عبساوي ﴾

نشر صفحات مطويه

ننشر في هذا الباب ما يفيد نشره من الفصول والشذرات التي كتبها اكابر كتاب العرب مما لا يوجد الا في الكتب الكبيرة والمكاتب الشهيرة

جواهر عربية ادبية

﴿ الولاة والامام عمر بن الخطاب ﴾ كان من عمال الامام عمر سعد بن عامر بن خريم فشكاه اهل حمص اليه وسألوه عزله فقال عمر اللهم لا تفل فراستي فيهم ماذا تشكون منه . قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار ولا يجيب احداً بليل وله يوم في الشهر لا يخرج الينا . فقال عمر عليَّ به . فلما جمع بينهم وبينه قال ما تنقمون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار فقال ما تقول ياسعد قال يا أمير المؤمنين انه ليس لاهلي خادم فاعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم اتوضأ واخرج اليهم . قال وماذا تنقمون منه . قالوا لا يجيب بليل . قال قد كنت اكره ان اذكر هذا اني جعلت الليل كله لربي وجعلت النهار لهم . قال وماذا تنقمون منه قالوا له يومٌ في الشهر لا يخرج الينا . قال نعم ليس لي خادم فاغسل ثوبي ثم اجففه فامسي . فقال عمر الحمد لله الذي لم يفل فراستي فيكم يا اهل حمص فاستوصوا بواليكم خيراً . ثم بعث اليه عمر بالف دينار وقال استعن بها . فقالت له امرأته قد اغنانا الله عن خدمتك فقال لها الا ندفعها الى من ياتينا واحوج ما كنا اليه . قالت بلى فصرّها صرراً ثم دفعها الى من يثق به وقال انطلق بهذه الى فلان وبهذه الى يتيم بني فلان ومسكين آل فلان حتى بقي منها شيء يسير فدفعه الى امرائه وقال انفقي هذه ثم عاد الى خدمته » (للمسعودي)

﴿ فساد العالم ﴾ الشيخ الامام يقول فسد الزمان افلا يقول متى كان صالحاً . افي الدولة العباسية فقد راينا آخرها وسمعنا اولها . ام المدة المروانية وفي اخبارها . لا تكسع الشول باغبارها . ام السنين الحربية

والرمح يركزُ في الكلى والسيفُ يغمدُ في الطلا
ومبيتُ حجرٍ في الفلا والحرّتانِ وكربلا

ام البيعة الهاشمية وتليٌ يقول ليتَ العشرة منكم براس · من بني فراس · ام الايام الاموية والنفير الى الحجاز · والعيون الى الاعجاز · ام الامارات العدوية وصاحبها يقول وهل بعد البزول · الا النزول · ام الخلافة التيمية وصاحبها يقول طوبى لمن مات في نانأة الاسلام · ام على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل اسكتي يافلانه · فقد ذهبت الامانة · ام في الجاهليه ولبيدٌ يقول

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيتُ في خلفٍ كجلدِ الاجربِ

ام قبل ذلك واخو عادٍ يقول

بلادٌ بها كنا وكنا نحبها اذ الناسُ ناسٌ والزمانُ زمانُ

ام قبل ذلك وروي عن آدم عليه السلام

تغيرت البلاد ومن عليها ووجهُ الارض مغبرٌّ قبيحُ

ام قبل ذلك وقد قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسدُ فيها ويسفك الدماء · وما فسد الناسُ · وانما اطرد القياسُ · ولا اظلمت الايام · وانما امتدَّ الظلامُ · وهل يفسد الشيء الا عن صلاح · ويمسي المرء الا عن صباحٍ » (للهمذاني)

باب التقريظ والانتقاد

الحب والزواج

ذكرنا كتاب الحب والزواج في باب التقريظ والانتقاد في الجزء الماضي فوردنا من جناب مؤلفه الكتاب التالي

حضرة منشيء الجامعة الغراء

امتنَّ لجنابكم كل الامتنان لاجل تقريظكم كتابي « الحب والزواج » في الجزء الثالث من الجامعة الغراء · واشكر لكم انتقادكم الوجيز وانكاركم عليَّ صراحة بعض عبارات في الكتاب كنتم تؤثرون ان يشار اليها اشارة خفيفة اذ لا « بد ان يقع الكتاب بين ايدي الجنسين » كما تقولون · ويا ليتكم اسهبتم في بيان ماهية العبارات المنتقدة لئلا يتوهم قراء الجامعة ان في تلك العبارات ما ينافي الحشمة او يثير عاطفة بحيث لا يليق بالجنس

اللطيف ان يطلع عليه الامر الذي تحاشيته كثيرًا · ولعل تلك الفقرة المنتقدة في وجه ١٠٧ لا تحتمل الا الانتقاد الوجيز كانتقادكم · على اني التمس من حضرتكم ان اشير الى صيغة تلك العبارات دفعًا لما يوهمه قولكم : ان« الذي يقرأ مثلاً الصفحة ١٠٧ من هذا الكتاب وغيرها ايضًا يحسب ان المؤلف قد تعمد التصريح الذي اشرنا اليه لجعل كتابه ادعى (لانبساط النفس) كما قال في صدره » ا ه

في تلك الصفحة المشار اليها بيان وجيز عن سن المراة الموافق للزواج بحسب القواعد الطبيعية · وهو بحث لا غنى فيه عن ايراد الالفاظ العلمية التي اصطلح عليها الكتبة في المواضيع الطبية و وردت في كل كتابة في ذلك الموضوع · والاشارة الخفيفة الى ذلك الموضوع لا تفي ببيان الحقيقة العلمية المقصودة والا فما لجأت الى ايراد تلك الالفاظ التي درج عليها الكتاب في كتبهم · ولو كنت احسب ان تلك العبارات محظورة او تكفي الاشارة اليها لما سهوت عن الاشارة ما دام في نيتي ان انزه الكتاب عن كل معنى ينافي الحشمة كما ذكرت في مقدمته · ولا اظن احدًا من قراء تلك الصفحة يحسب اني « تعمدتُ تصريحًا» بشيء تغني الاشارة عنهُ بغية « انبساط النفس » أو يجد فيها ما يبسط النفس مما ينكره ادبها فلا ادري كيف تحسبون حضرتكم هذا الحساب

اما ما ورد في صدر الكتاب من قولي« يبسط النفس ويدهش الخلق » فلم اعن بهِ ان في الكتاب من العبارات العشقية والاقوال الغرامية ما يلذ للجهال المتطوحين في العشق والغرام بل اعني ان التعليل عن عواطف الحب ومتعلقاته يلذ لكل انسان لانهُ قلَّ من لا يناجي نفسه بعالم هذه العاطفة التي يشعر بها في كل ادوار حياته واطوارهِ · وما من احد الاّ يرتاح الى معرفة اسبابها ومسبباتها وكل احوالها

ولولا مبالغتي في ان اتحاشى ذكر ما يسوق ذكره الى سوء المظنة لما اضطررت ان اغفل كثيرًا من مستلزمات هذا البحث مما يقع بين الناس كل حين و يدعو موضوع الكتاب الى البحث فيهِ · على اني اكرر ثنائي على حضرتكم في كل حال

بيروت ﴿ نقولا حداد ﴾

نقول · لما قرأنا هذا الكتاب تحققنا ان حضرة مؤلف « الحب والزواج » — ولا حاجة الى التاليف بينهما لانهما متآلفان كما يظهر من كل كلمة وكل حرف في كتابه — لم يكتف بالاعلان الذي نشرته الجامعة عن هذا الكتاب بل رام زيادة الاعلان عنه فكتب الينا في هذا الموضوع · وانما تحققنا ذلك لاننا راينا في كتابه المواضع والكلمات

والاشارات المقصودة التي كان يجب حذفها ظاهرة لا تحتاج الى برهان · ولولا خوفنا من الوقوع في ما وقع فيه جناب الكاتب لذكرنا تلك المواضع التي لا محل لها في كتاب ادبي قد يقرأه الجنسان ولا سيما العذراء في خدرها · فنكتفي اذًا برده اليها في كتابه · فليراجع مثلاً في الصفحة ٧ السطر ٢ و٣ و٨ وفي الصفحة ٩ في كلامه عن الجمال السطر ٧ وفي الصفحة ١١ السطر ١٥ وفي الصفحة ٥٠ تعريفه الغاية في السطر ١٧ تعريفًا كان يجب ان يتحاشاه ولا سيما قوله « باقصى معناه » لان الناس في غنى عن درس هذه الامور في الكتب ومن الواجب ان تكون هذه الكتب حمىً للفضيلة لفظًا ومعنى· وكذلك في الصفحة ٥٩ من السطر ١٢ الى السطر ١٨ · اما ما جاء في الصفحة ٦٧ السطر ١٧ فهو سمّ زعاف· وكذلك ما جاء في الصفحة ٧٩ السطر ٩ · ومما تحمر له الوجنات الطاهرة ما جاء في الصفحة ١٠٥ من السطر ١٢ الى السطر ٢٠ الذي هو نهاية في الغرابة · فان المؤلف وجه به نصيحة الى الشبان كالنصيحة التي يوجهها رجل لرفيقه وهما سائران في بستان لغيرهما · فانه يقول له لا تاكل كثيرًا من ثمار هذا البستان لانها تضر معدتك فيدلّ بذلك على ان سبب الامتناع ضرر الممتنع لا تحريم الثمر عليه لانه ليس ملكاً له · واذا كنا نبني بناء الفضيلة في العالم على نفع الانسان وعلى ضرره بصرف النظر عن الحق البشري والنظام الاجتماعي والادب العام والمبادىء فان هذا البناء واهٍ واهن يسقط عند اول ريح تهب في نفس الانسان ومتى سقط هذا البناء ظهرت الرذيلة بشناعتها المعروفة وشردت الانسانية من الانسان فلا تبقى له غير الحيوانية

اما الصفحة ١٠٧ التي حاول جناب المؤلف تبرءتها ففيها السطور ٣ و٤ و٥ تعلم كثيرين ما لا يعلمونه · ومن الغريب ان المؤلف لم ينظرها واذا اعترض بقوله انه نظرها ولكنه لا يرى فيها شيئًا يستحق اللوم عليه تغير هنا وجه البحث ولم يبقَ للذين يغارون على الادب العام غير السكوت

﴿ المنارة ﴾

انشأت الجمعية الخيرية المارونية في سان باولو في البرازيل جريدة اسبوعية ادبية اخبارية عنوانها « المنارة » وجعلت قيمة اشتراكها ٢٠٠ غرش تُنفق في سبيل الخير· فنحن نرحب بالرصيفة الجديدة ونرجو ان تخدم طائفتها الكريمة خدمة نافعة

﴿ انيبال ﴾

لجناب خليل افندي خياط

هي رواية تاريخية ادبية وضعها جناب خليل افندي خياط واهداها الى صاحب السعادة خليل باشا خياط · ومدار الرواية على حروب قرطجنة والرومانيين ومقاومة القائد حنيبعل لهم وهو « ابن هملقار الملقب بالقائد الذي لا يُغلب وكانت ولادته سنة ٢٤٩ قبل المسيح في مدينة قرطجنة » والرواية مطبوعة في مطبعة جريدة مرآة الغرب الغراء في نيويورك طبعاً منقناً على ورق جيد وهي تطلب من ادارتها · وفيها كثير من الفوائد التاريخية والنصائح الادبية لا سيما ما كان منها مختصاً بالسوريين · وحبذا لو كان جناب المؤلف عدل عن تسميته « الرومانيين » بالروم لان مؤرخي العرب يطلقون هذا الاسم بالاكثر على اليونانيين

﴿ سحر البيان ﴾

ديوان من نظم جناب رشيد افندي مصوبع

نشر جناب رشيد افندي حنا مصوبع اللبناني باكورة نظمه في ديوان دعاه (سحر البيان) واودعه كثيراً من الغزل والوصف والادبيات والرثاء · ومن الرثاء قوله في فقيد الصحافة المصرية المرحوم نقلا باشا

قف ودع الاهرام منك بنظرة ... فهي الاحق بان تكون ثكولا
ان كان وادي النيل شق جيوبه ... حزناً عليك فقد خدمت النيلا
او كان لبنان عليك تصوحت ... ازهاره فلقد نماك اصولا
ابكيت فيه شؤونه وعيونه ... وغصونه وحزونه وسهولا
وهواءه الشافي وهذا لو درى ... لسرى ليشفي من صباك عليلا
فلطالما ذكروك تحت مهبه ... فاطبته ذكراً فطاب حمولا
ولطالما اكسبت بر شآمنا ... شرفاً رفيعاً باسقاً واثيلا
اعميد سوريا ومصر اقول ذا ... وانا جريء لا اخاف عذولا
انا نشيع ظاعنين قلوبنا ... وعيوننا وبشارة المثكولا

وقد قلنا ان هذا الديوان باكورة نظم الناظم وذلك مما يجعل للشعر املاً فيه فنثني على اجتهاده ونرجو له زيادة الارتقاء في فنه

وعلى ذكر المرحوم نقلا باشا نقول ان ادارة جريدة الاهرام الغراء قد شرعت في جمع مراثيه وستصدرها قريباً فمن قال في المرحوم نقلا باشاشيئاً نظماً او نثراً فله ان يبعث به اليها

باب تدبير الصحة

اننام والنوافذ مقفلة

﴿ ام مفتوحة ﴾

اختلف الاطباء في هذه المسالة . فبعضهم يوصي بفتح نوافذ غرفة النوم في اثناء النوم لتجديد هواء الغرفة وبعضهم يوصي باقفالها . فكتب احد محرري جريدة الاندبندانس بلج الى بعض علماء الطب والصحيين يسالهم رايهم في ذلك

فاجابه الاستاذ هالوبو « ان بعض الناس يحتملون فتح النافذة في اثناء النوم لان بنيتهم قوية وقد اعتادوا ذلك فلا باس ان يفتحوها . وبعضهم يصاب في صحته اذا فتح نافذته فيجب عليه اقفالها »

واجابه الاستاذ لنسرو « يجب النظر في ذلك الى سن النائم . فالشيخ مثلاً عليه ان يقفل نافذته واما الشاب فعليه ان يفتحها لانه بحاجة الى الهواء النقي ولا سيما اذا كانت غرفته صغيرة »

وقال الاستاذ شوفل « ان فتح النافذة امر حسن ولكن ضوضاء الشوارع في المدن وصغر غرف النوم الذي يحول دون ابعاد السرير عن النافذة يقضيان احياناً باقفالها »

وقال الاستاذ ارمان كوتيه « على النائمين ان يناموا ويتركوا النافذة مفتوحة بعض الشيء ولكن يجب ان يسدلوا الستائر عليها . ومما يجب عليهم ثلاثة امور (١) ان يغطوا اجسادهم جيداً في اثناء النوم لئلا ياخذهم البرد (٢) ان لا تنخفض حرارة هواء الغرفة تحت ٨ درجات (٣) ان لا يفتحوا النافذة الا بعد اطفاء المصباح لانهم اذا فتحوها والنور ساطع في الغرفة تهافت على النافذة كل ما في الخارج من البعوض والحشرات »

وقال الاستاذ هنريوت « في الناس من لا يستطيع النوم اذا كانت النافذة مفتوحة

لان الزكام ينبههم في الحال وانا في جملة هولاء الناس · وفيهم من ينامون براحة وهدوء فالمسالة اذًا مسالة عادة واحتمال · ولكن مما يجب الانتباه انه ينبغي اما اقفال النافذة كلها او فتحها كلها ومن الضرر فتحها بعض الشيء · كما انه من الضرر احداث مجرى هواء في الغرفة »

وقال الدكتور كوست دي لاكراف في كتاب له « يجب فتح النافذة لان الرئتين في حاجة لغسلها وتطهيرها في كل يوم وكل ساعة ولا يغسلها غير الهواء النقي · ولكن اذا كانت النافذة بجانب طريق مطروقة يثور فيها غبار الشارع او في جوار مستنقع او مزبلة فان فتحها يُدخل جراثيم الفساد الى الغرفة »

وهذا الدكتور كان مصابًا بداء السل وشفي منه فكتب كتابًا عنوانه « الشفاء من السل » جدير بكل من يهتم بهذا الداء ان يقف عليه وربما لخصنا شيئًا منه

﴿ لا تأكل خبزًا لينًا ﴾

ولا تشرب لبنًا كثيرًا دفعة واحدة

يستحب الناس اكل الخبز اللين (الطري) وبعضهم يبسط عليه السكر مع السمن او الزبدة و يأكله متلذذًا · ولكن الخبز المأكول على هذا الوجه يكون عسر الهضم جدًا لانه يتكتل في المعدة كتلاً كتلاً و يعيق الهضم ويحدث ثقلاً فيها وصداعًا في الراس · فعليك اذًا بأكل الخبز بعد جفافه وحسنًا تصنع اذا كنت تعتاد شيَّ الخبز على النار قبل اكله وهو ما يسمونهُ « تحميصهُ »

وما قيل في الخبز يقال في اللبن (الحليب) فان كثيرين يشربون نصف اقة من اللبن مثلاً او اقة فلا تهضمها معدتهم بسهولة · وسبب ذلك ان اللبن حين امتزاجه بعصارة المعدة يختر اي « يفرط » كما يفرط اذا اضفت اليه شيئًا من الحامض · فاذا كانت كميته في المعدة كثيرة صعب عليها هضمه بسهولة · فالواجب اذًا ان لا تتناول الحليب الا مرات متوالية و ينبغي ان تقيم خمس دقائق في شرب كل فنجان منه

﴿ تجفيف الاحذية في الشتاء ﴾

اذا نهضت في ايام الشتاء وجدت حذاءك الذي كان مبللاً متقلصًا من الماء وغير جافٍ فاذا لبسته شعرت ببرد شديد في قدميك · فطريقة تجفيفه ومنع تقلصه ان تملأهُ

في المساء قبل النوم تبناً وتضغط التبن فيه · ففي الصباح تجد ان التبن امتص ما فيه من الرطوبة والماء ومنعه من التقلص

شوؤن نسائية

السيدات والمرآة ومرض جديد

يحلو للسيدات كثيرًا ان ينظرن في مرآتهن كلما مررن بجانبها · ولذلك يكون اشد عقاب للمرأة ان تضع بجانبها مرآة وتمنعها من النظر اليها · فما قول السيدات اذا دعا الرجال الى الله ان يعمم المرض الذي اكتشفه المسيو سوليير في هذا الشهر · فقد قدم هذا العالم الى الجمعية الطبية البسيكولوجية في باريز رسالة يقول فيها انه يعالج الآن فتى هستيريًا ينظر كل شيء الا انه اذا نظر الى المرآة لم يستطع ان يشاهد صورته فيها بل هو يرى زجاج المرآة كما نرى نحن الزجاج اي شفافًا من جانبيه · فما اشده عقابًا للنساء اذا صار الرجال قادرين على جعلهن كذلك ولو مرة في الاسبوع ·

ثمار المائدة

لا يكفي غسل الثمار غسلاً بسيطاً قبل وضعها على المائدة فانه يكون في بعضها كالتفاح والعنب والاجاص بقع سود صغيرة لا يلتفت اليها الغاسل وهذه البقع قد تكون شديدة الخطر لانه ثبت من الفحص البكتريولوجي انها تنشأ عن جراثيم فطرية تضر المعدة ضررًا بليغاً · فيجب على ربة البيت ان تهتم بتقشير كل الاثمار

معرفة الزيت المغشوش

لمعرفة الزيت المغشوش طريقة بسيطة وهي ان تصبّ قليلاً منه في صحن وتتركه في الهواء مدة ٢٤ ساعة فاذا وجدت فيه فقاقيع صغيرة او ذرات يمكن اخراجها براس الدبوس فهو مغشوش واذا وجدته صافياً فهو صحيح

ربات البيوت والصحة في الصين

للصينيين طريقة لتطبيب العائلة حديرة بالالتفات · فان لكل عائلة طبيباً وكل طبيب

يقبض من عائلته راتباً شهرياً ما دامت في صحة وسلامة لكن متى مرض احد منها انقطع عن الطبيب هذا الراتب ووجب عليه ان يطبب المريض مجاناً ولذلك يبذل الطبيب كل جهده لشفاء المريض سريعاً ليعود راتبه اليه ٠ فما قول سيدات الشرق بهذه الطريقة ٠ الا يرين حسناً ان يعرضنها على حضرات الاطباء

رائحة الارز في الغرفة

اذا شئت نشر رائحة طيبة في الغرف كرائحة شجر الارز فاغلي ليتراً من الماء وصبي فيه ملعقة صغيرة من روح التربنتينه نقطة نقطة فتنتشر في الغرفة رائحة طيبة كرائحة الارز وهي تنفع المصابين بالمعدة وتوقف نمو الميكروبات

اشهر حوادث الشهر

يسافر الجناب الخديوي الى السودان في ٢٨ الجاري وقد نشرت نظارة الحربية بروغرام سفره ٠ ويسافر في معية سموه مندوب من قبل الجرائد المصرية العربية اتفقت الجرائد عليه بعد اختلافها اختلافاً شديداً كان له صدى في جميع القطر ٠ ومما هو حري بالذكر ان لجنة الصحافة اخرجت المجلات العلمية حين شروعها بانتخاب هذا المندوب لغرض غير معلوم فجاء ذلك باشرف للمجلات واصون لكرامتها لانها بقيت في « قصرها العاجي » كما يقول الافرنج تشاهد تلك المناظر بسرور وهدوء في جملة المشاهدين ٠ وقد عزمت الحكومة على الغاء رسوم الدخوليات في بنادر القطر الا الاسكندرية والعاصمة فلا ريب ان هذه حسنة كبرى يشكرها عليها الاهالي٠

اما في الخارج فقد احتل الاسطول الفرنسوي جزيرة متلين التي ورد ذكرها في ترجمة سافو في هذا الجزء لخلاف بين الباب العالي وفرنسا بشأن ديون ومشاكل ثم رحل الاسطول عن الجزيرة بعد نيل فرنسا مطلوبها ٠ وقد هاج الالمانيون لخطبة القاها المستر تشمبرلن في ادنبورج وقال فيها ان الالمانيين ارتكبوا المنكرات في حربهم مع فرنسا فانتقص المستر تشمبرلن في كتاب كتبه اهمية هذا الكلام فبقي الالمانيون في سخطهم ٠ واما الخطبة التي القاها اللورد سالسبوري بشان حرب الترنسفال فيؤخذ منها ان تقدم الجيش الانكليزي بطيء ولكنه يتقدم وانه لا بدّ من اخضاع الجمهوريتين لازالة الخطر من احدى زوايا



كرسي الكهربائية
الذي اعدم عليه قاتل ماكنلي

الامبراطورية البريطانية

واما اعدام كزولكوز قاتل المستر ماكنلي فقد نشرنا صورته في هذا الفصل فان الكرسي الكهربائي الذي جلس عليه متصل من اعلاه ومن سفليه بسلكين كهربائيين يدفعان الكهربائية الى جسمه بقوة هائلة وهو مربوط بالكرسي من راسه ويديه كما ترى في الرسم فيندفع الجسم بتلك القوه حتى يكاد يتمزق او يقطع رباطاته ٠ وبعد ثماني ثوان يقطع المجرى الكهربائي عنه ثم يعاد اليه مره ثانية وربما اعيد اليه مره ثالثة فيصبح جسم الجاني مكربناً كانه محرق بالنار

الصدر الاعظم

خليل رفعت باشا

توفي المرحوم خليل رفعت باشا الصدر الاعظم في ٢٧ اكتوبر الماضي فكان لمنعاه دوي اسف لا دوي اهتمام لمعرفة الناس ان سفينة الدولة تجري به وبدونه ٠ وقد كان رحمه الله مذكوراً بدماثة الاخلاق ولين العريكة وشدة الوطاة على قطاع الطرق فانه طهر ولاية مناستير منهم لما كان والياً عليها

وقد ولد في قرية ليفه من ولاية سيروز في عام ١٢٤٤ (هجرية) من اب يدعى ابرهيم اغا٠ ثم هاجرت عائلته الى سيروز فاستخدم في عام ١٢٦٠ في قلم التحريرات براتب قدره ٥٠ غرشاً في الشهر ٠ ثم اخذ يرتقي في دوائر الحكومة وينتقل من ولاية الى ولاية فاستخدم في سلانيك وديىن ويانيه وادرنه ومعمورة العزيز وارضروم وسلستره٠ وقد كان في سلستره كاتب ديوان براتب قدره الف غرش وذلك في عام ١٢٧٧ (هـ) وفي عام ١٢٨٤ عين متصرفاً لوارنه براتب قدره ١٢ الف غرش في الشهر ثم نقل الى متصرفية ترخاله ثم الى دين وفي عام ١٢٩٢ عين والياً للطونه ونقل بعد ذلك الى ولاية قوصوه فسلانيك



﴿ خليل رفعت باشا ﴾
الصدر الاعظم

فسيواس . وفي عام ١٢٩٩ عين واليا لكريت ولكنه لم يسافر اليها بل بقي مقيماً في سيواس . ومن سيواس نقل الى ولاية ايدين فبغداد فمناستير فازمير . وفي عام ١٣٠٧ عين وزيرًا للداخلية وفي ٢٦ نوفمبر من عام ١٣١١ عين صدرًا اعظم

وقد كان رحمه الله في منصبه السامي في الصدارة العظمى مطواعاً لا يخالف لجلالة مولاه امرًا . ولذلك قال له جلالة السلطان في ذات يوم « انك ستموت في الصدارة » . ولم يكدر صفوه سوى امر واحد وهو مقتل نجله جاويد بك الذي كان يحبه حباً شديدًا . ولعل هذه المصيبة هي التي زهدته في الحياة في آخر عمره وزعزعت صحته فقربت اجله



﴿ نجل رفعت باشا جاويد بك المقتول ﴾

وقد احتفل بالاستانة بنقل جثة الفقيد الى جامع ابي ايوب الانصاري احتفالاً كبيرًا ودفن فيه بما هو اهله من الاجلال . تغمده الله برحمته والهم اسرته الكريمة جميل العزاء .

وقد صدرت ارادة جلالة السلطان بعد وفاته باسناد مسند الصدارة العظمى الى دولتلو سعيد باشا المشهور بحزمه وعزمه فعسى ان يجعل دولته منصبه العظيم في مكانه من الاهمية فان المناصب بالرجال كما ان الرجال بالاعمال .